الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الثنائيات الضدية في شعر أبي فراس الحمداني

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:

خولة عزوز

إشراف الدكتور:

مسعود بن ساري

السنة الجامعية: 2018-2019

إهداء

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

أهدي هذا العمل إلى الوالدين الكريمين

إلى إخوتي الأعزاء

إلى جميع الأصدقاء والصديقات

شكر وتقدير

لله الفضل والحمد من قبل ومن بعد

ثم خالص الشكر للأستاذ المشرف الدكتور "مسعود بن ساري"

الذي ما انفك يشير على هذا البحث ويوجهه

بسداد رأيه وواسع خبرته

كما نتوجّه بجزيل الشّكر والعرفان

إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة

الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذا العمل

فصححوه ونقحوه

ولكل من ساهم في إنجازه.

خالص تحيتي ومحبتي/ خولة

مقدمة

مقدمة:

إن المتأمل في الكون يجد أنه يقوم على تقابل أضداد وتناقضات، وكذلك الأمر بالنسبة للطبيعة البشرية، حيث تستوطنها العديد من النوازع والعواطف المتضاربة، وقد تأثر الشعراء بجدلية هذه الأشياء فحاولوا التعبير عنها في ثنايا شعرهم، ويعد أبو فراس الحمداني واحدا من هؤلاء الشعراء الذين استخدموا هذه الثنائيات كطريقة لنظم الشعر فحاولنا استنباط أهم تلك الثنائيات في بحثنا المعنون: "الثنائيات الضدية في شعر أبي فراس الحمداني".

ويرجع سبب اختيارنا لهذا الموضوع إلى مكانة أبي فراس الحمداني في أدبي السيف والقلم، ثم توافق شعره مع الدّراسة التي سنقوم بها، بالإضافة إلى رغبتنا في تنمية قدراتنا وشغفنا بالشاعر أبي فراس الذي يمثل مدرسة للأخلاق والفضائل السّامية.

ولعل الإشكال الرئيس الذي يطرح نفسه في بحثنا هذا هو:

ما هي الثنائيات الضدية في شعر أبي فراس الحمداني؟ وكيف تولدت؟ وما دلالتها؟ وما علاقة بعضها ببعض؟

وتندرج تحت هذا الإشكال الرئيس تساؤلات شتى في الموضوع وهي:

ما هو مفهوم الثنائيات الضدية؟ وما الدور الذي تلعبه في النصوص الأدبيّة؟ وكيف كان توظيف أبي فراس لها؟ وهل وُفِّق في إيصال مقاصد كلامه من خلال توظيفها؟ وما هو مجموع تلك الثنائيات الضدية؟ وكيف توالد بعضها عن بعض؟ وما دليل ذلك؟ وما سببه ودلالته؟

ولحل هذا الإشكال وتساؤلاته، اعتمدنا خطة من فصلين وخاتمة مذيلة بفهرسين؛ فهرس المصادر والمراجع، وفهرس المحتويات. أما الفصل الأوّل فكان نظريا بامتياز، وتناولنا فيه أربعة مباحث، أولها مفهوم الثنائيات الضدية، وثانيها دور الثنائيات الضدية، وثالثها ترجمة الشاعر ورابعها أغراضه الشعرية التي طرقها.

وجاء الفصل الثاني تطبيقيا استخرجنا من خلاله الثنائيات الضدية التي وردت في ديوانه، وكان مجموعها ثماني ثنائيات، واجتهدنا في الشرح والتحليل والتعليل.. وكانت الخاتمة بعد ذلك حوصلة تضمنّت أهم النتائج التي اهتدينا إليها.

وللأمانة العلمية إن عملنا في هذا البحث جعلنا نستعين بروح جميع المناهج، في مواضع مختلفة، وبنسب مختلفة، نذكر منها:

المنهج التّاريخي والاجتماعي والنّفسي والبنيويّ والأسلوبي والفنّي..

وكأيِّ جهد بشري واجهتنا بعض الصّعوبات منها فلسفية الموضوع وكيفية التعامل معه.

ولتذليل هذه الصعوبة اهتدينا بتوجيهات الأستاذ المشرف، واستعنا ببعض الدّراسات المشابهة لموضوعنا منها: "الثنائيات الضدية في لغة النّص الأدبي بين التوظيف الفني والذّوق الجمالي لعلي زيتونة مسعود"، و"الثنائيات الضدية في شعر الحُطيْئةِ لصلاح أحمد صالح..

واعتمدنا في المقابل على مصادر ومراجع كثيرة، تنوعت بين القديمة والحديثة، والأدبية واللغوية، والنفسية والاجتماعية وغيرها، نذكر منها على سبيل التمثيل:

- ديوان أبي فراس الحمداني.
- الثنائيات الضدية في الشّعر العربيّ القديم لِسمر الدّيّوب.
- كتاب الحيوان للجاحظ.
- تاريخ الأدب العربي لحنا الفاخوري.

ولا يفوتنا في هذا المقام، إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل، إلى أساتذتي السادة أعضاء لجنة المناقشة، الذيْن شرَّفَونِا بقَبُول مناقشة هذا العمل، وتحملا عناء القراءة، والتصويب

والتصحيح. فلهما كل الشكر والتقدير، ولأستاذنا المشرف على اقتراح الموضوع ورعايته منذ كان فكرة، إلى أن أصبح واقعا محسوسا، وعلى صبره، ومتابعته، فله منا كل الشكر والاحترام.

ولله الحمد أولا وآخرا على توفيقه..

الفصل الأول

الفصل النظري

المبحث الأول: الثنائيات الضدية

المبحث الثاني: دورها في الإقناع والإمتاع

المبحث الثالث: ترجمة الشاعر

المبحث الرابع: الأغراض الشعرية في ديوانه

المبحث الأول: الثنائيات الضدية:

أ/لغة:

تعود الثنائيات الضدية إلى الجذر الثلاثي (ث ن ي)، ومن معانيها "تكرير الشيء مرتين، أو جعله شيئين متواليين أو متباينين"[1]. "والثني رد الشيء بعضه على بعض"[2]. وقيل "الثنائي من الأشياء ما كان ذا شقين"[3].

يتبين لنا مما سبق أن دلالات الثنائيات تقتضي وجود طرفين يكونان متزامنين أو معطوفين أو متواليين.

كما يمكن القول إن الثنائيات قد تتعدد لكنها تظل تسبح في فلك الرقم اثنين، حيث يشكل العدد واحد مع واحد آخر ثنائية بغض النظر عن نوع العلاقة القائمة بينهما، ويجب الإشارة إلى وجوب ملازمة كل طرف للطرف الآخر دائما وإذا حدث وانفصلا عن بعضهما انتفت عنهما صفة الثنائية.

ب/ اصطلاحا:

إن المعنى الاصطلاحي للثنائيات يختلف عن المعنى اللغوي من جهة عمقه وأبعاده الفلسفية والعلمية.

ورد في المعجم الفلسفي أن"الثنائي من الأشياء ما كان ذا شقين، والثنائية هي القول بزوجية المبادئ المفسّرَة للكون.. والثنائية مرادفة للاثنينية، وهي كون الطبيعة ذات مبدأين"[4].

---

[1] – أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون،مادة (ثني)، دار الفكر، لبنان، (دط)، (دت)، ج3، ص391.

[2] – محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ضبط نصه وعلق حواشيه خالد رشيد القاضي، دار الصبح و إديسوفت، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ج4، ص126.

[3] – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (دط)، 1982م، ص379.

[4] – نفسه، ص379.

فالاثنينية هي كون الشيء الواحد مشتملا على حدين متقابلين: أي أنه يقوم على مبدأين مستقلين لا يذوب أحدهما في الآخر ولا يشبهه كالخير والشر، والموت والحياة، والليل والنهار، والسواد والبياض..

يقول الجاحظ في كتابه الحيوان: "اعلم أن المصلحة في أمر ابتداء الدنيا إلى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر، والضار بالنافع، والمكروه بالسار، والضعة بالرفعة، والقلة بالكثرة، ولو كان الشر صرفا لهلك الخلق، أو كان الخير محضا سقطت المحنة، وتقطعت أسباب الفكرة ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة"[1].

فالكون يقوم على ثنائيات ضدية متقابلة لكل منها ميزاتها ووظائفها، وهذا من حكمة الله عز وجل في خلقه.

إن الثنائيات الضدية تعكس طبيعة الأشياء في الوجود، وتعبر عن حقائق الكون والنفس البشرية؛ هذه الأخيرة تشهد هي الأخرى صراعات وتقلبات بين جانبين مختلفين فأحيانا نجد الإنسان ذئبا ضالا شعاره: "الحياة البقاء فيها للأقوى لا مكان للضعيف ولا مأوى"، وأحيانا أخرى نجده هو نفسه حملاً وديعا وحصنا منيعا للمستضْعَفِين.

عرف أبو هلال العسكري المتضادين بقوله: "المتضادان هما اللذان ينتفي أحدهما عند وجود صاحبه إذا كان وجود هذا على الوجه الذي يوجد عليه ذلك كالسواد والبياض"[2].

نلاحظ أن الشيء إذا حضر يغيب ضده وهذا راجع لطبيعة العلاقة القائمة بينهما فالليل ينفي وجود النهار والعكس صحيح.

إن الثنائيات موجودة منذ الأزل ولعل القرآن الكريم أنصع دليل على ذلك باعتبارها متأصلة في التركيبة الآدمية. قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾ [سورة الحجرات، الآية13]، فمبدأ الكون التوازن والتقابل والاختلاف والتكامل.

---

[1]– الجاحظ عمرو بن بحر، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ، ج1، ص134.

[2]– أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحقيق أبوعمرو عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، سيدنا الحسين، مصر، (دط)، (د ت)، ص164.

ترى سمر الديوب بأن "الثنائيات الضدية ظاهرة فلسفية أساسا، تم سحبها على النقد الأدبي، وأول من طبقها على الأدب هم البنيويون، ويعد هذا المصطلح مفردة من مفردات الثقافة الغربية، يمثل أسسا فلسفية بالدرجة الأولى، له أبعاد إيديولوجية وفلسفية موغلة في القدم، ولفهمه بأبعاده كلها لابد من العودة إلى أصله الفلسفيّ؛ ليتضح معناه، ثم يتعين على ذلك دراسته في حقل النقد الأدبي.."[1].

نلاحظ من خلال هذا القول أن الثنائيات الضدية تقوم على فلسفة جدلية باعتبار وجود عدة تقابلات ومفارقات في الكون، وقد دخلت هذه الفلسفة ساحة النقد من بابه الواسع، ويرجع الفضل في هذا كله إلى البنيويين.

إن الكون بمختلف مظاهره يقوم أساسا على الثنائيات الضدية والتي تتطلب "وجود أمرين متضادين مرتبطين برباط واحد، وهي فكرة يقوم عليها إيقاع الكون، إنها قانون الكون، وناموس الطبيعة الكونية، فالنور والظلمة في النهار والليل ثنائية ضدية يجمعهما اليوم، والفرح والحزن متضادان، ويختفي أحدهما وراء الآخر وكذلك النجاح والفشل، والغنى والفقر، والعلم والجهل.. العلاقة بين الثنائيات الضدية علاقة تضادٍّ، أي توازن بين طرفي الثنائية"[2].

إن الحياة تتكون في مجملها من ثنائيات وأضداد، فلكل شيء في الوجود نقيضه وهذه الثنائيات وُجدت منذ القدم، فحين نتحدث عن الخير مثلا فنحن نعطيه صفات وميزات تجعله يتعارض مع نقيضه ألا وهو الشر الذي يكون حاملا كذلك لخصائص لا تشابه ولا تماثل تلك الموجودة في الخير.

يعتمد الفكر الإنساني "في نشاطه على الثنائيات الضدية، وحوار الحدود المتقابلة والمتباينة.. فتجتمع في النفس البشرية ثنائيات ضدية يمكن عدّها كامنة في أغوار النفس الإنسانيّة، فالحياة غريزة واضحة الأثر في حركاتنا وسكناتنا، والموت غريزة ماكثة أمام

[1] – سمر الديوب، الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالاته، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية العتبة العباسية المقدسة، ط1، 2017م، ص10.

[2] – نفسه، ص23.

أعيننا، والسواد والبياض موجودان جنبا إلى جنب في الحياة... ويمكن القول: إن مظاهر الحياة كلها نتيجة ذلك التجاذب بين قطبي هذه الثنائية"[1].

فالوجود قائم في أساسه على ذلك التقابل الدّائم للثنائيات الضدية، فالثنائية الضدية إذن هي زوجان متعاكسان يكونان ماديين كالبدين والنحيف أو معنويين كالسّعادة والحزن.

إن الثنائيات الضدية ليست مجرد عملية جمع مباشرة وسطحية بين طرفين، بل هي نظرة فلسفية عميقة؛ فهذان الطرفان تربطهما رابطة قوية ألا وهي: التضاد: إذ يجتمع الظلام والنور في ثنائية ضدية لا متناقضة بحيث لا ينفي أحدهما الآخر بل يدخلان في علاقة توازٍ وبهذا الشّكل لا يتناقضان بل يتكاملان[2].

فالوجود قائم على تقابل طرفين مختلفين متضادين لكل منهما قوانينه وميزاته الخاصة.

إن مصطلح التضاد في النقد العربي القديم يتداخل مع عدة مصطلحات منها: الطباق والتكافؤ، وقد انفرد قدامة بن جعفر في إطلاق مصطلح التكافؤ على الطباق وذلك بقوله: "والذي أريد بقولي: متكافئين في هذا الموضع متقابلان أمّا من جهة المضادة أو السّلب والإيجاب أو غيرهما من أقسام التقابل"[3].

كما أطلق أبو هلال العسكري على تضاد مفردتين اسم المطابقة إذ نجده يقول: "قد أجمع الناس أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده، في جزء من الأجزاء الرسالة أو الخطبة أو بيت من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحرِّ والبرد"[4].

---

[1]– سمر الديوب، الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم، منشورات الهيئة العام السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2009م، ص4

[2]–ينظر: نفس المرجع، ص16.

[3]– قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1978م، ص143.

[4]– أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص399.

نلاحظ من خلال هذا التعريف أنه لا يوجد اختلاف بين معنى التضاد ومعنى الطباق.

ويرى عبد القاهر الجرجاني أن التضاد هو مقابلة الشيء بضده، كما وظف الخطيب القزويني مصطلح التضاد للدلالة على الطباق.

وعلى العموم فقد تطرق عدد من النقَّاد القدماء والمحدثين لمفهوم التضاد؛ ونحن لسنا هنا بغرض الغوص في التفصيلات الدقيقة لمعنى التضاد؛ إنما بغرض الوقوف على مفهوم التضاد ليكون سراجا يستضاء به في الفصل التطبيقي.

يعد "التضاد" أحد المفاهيم النقدية الحديثة وكان الأصوب أن يترجم إلى "الطباق"؛ فقد ظهر في عالم النقد على المستويين النظري والتطبيقي خاصّة بعد ظهور الطروحات البنيوية وما فيها من موضوعات لسانية في أوائل القرن العشرين، حيث ظهرت أكثر من مدرسة تبنَّت هذه الطّروحات، ومن هذه المدارس: مدرسة(براغ) والتي يتزعّمها "رومان جاكبسون" و"إميل بنفست" وكذلك "تودروف" وغيرهم وهؤلاء كانوا أصحاب المدرسة أو الاتجاه الشّكلاني، ومدرسة جنيف السويسرية التي يتزعّمها "دي سوسير" وهؤلاء تبنوا الاتجاه اللغوي أو ما يسمّى ب"اللسانيات" وغيرها من المدارس التي تبنّت مفهوم "التضاد" في طروحاتها بوصفه المحور الأساسي الذي تقوم عليه البحوث والدراسات اللسانية سواء على مستوى الشكل أو البنية؛ فقد عدُّوا هذا المفهوم عنصرًا أدبيّا وجماليا يشكل أساسا في بنية الخطاب ومن خلاله يتشكل المعنى على مستوى التحليل[1].

عند تعاكس البنى المشكلة للنص على مستوى الدال اللغوي(المرئي) تنشأ الثنائيات الضدية بين الوحدات الخطابية، وهذا النوع من الثنائيات يطلق عليه اسم(التضاد الحسي أو الصريح)، وعند البلاغيين يسمى(التضاد اللفظي)، يتحقق هذا النوع من الثنائيات الضدية في الخطاب نتيجة وجود أشكال ضدية بين الكلمات والجمل، أما النوع الثاني فيمكن تحديده من خلال إعطاء الخطاب اللغوي لطرف واحد فقط من أطراف التضاد، وهذا ما يتطلّب منّا

[1]- ينظر: صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، دط، 1987م، ص24-45-108.

البحث عن الطرف الثاني ويكون هذا من خلال معرفة السِّياق التركيبي والدّلالي وهو ما يعرف باسم(التضاد المعنوي الخفي)، وعند البلاغيين يسمّى(التضاد المعنوي) وهذا النوع يكون أعمق وأشمل من النوع الأول.

المبحث الثاني: دور الثنائيات الضدية في الإقناع والإمتاع:

للثنائيات الضدية قدرة رهيبة على الإقناع، فمن وسائل الإقناع الحجة العقلية القائمة على الاستدلال والمقارنة بين المتناقضين لتبيين المفارقة الشاسعة بينهما، فالنفس البشرية تميل للإيجابي الحسن وتنفر من السلبي القبيح؛ وللتمييز بينهما تعتمد على المقارنة بينهما واستخراج ميزة كل منهما فالجدل والحجاج والبرهان كلها وسائل تحتاج إلى التضاد وإلى الربط والمقارنة بين المتناقضين؛ فالربط بين الأشياء المتنافرة يثير العواطف الأخلاقية والمعاني الفكرية في المتلقي[1]،لأن هذا الأخير يستطيع لمس تلك المفارقة وذلك التنافر ويعيشهما، فالإثارة تؤدي إلى الإقناع وتحقيق الهدف المراد.

إن التضاد يستغل أكثر ما يستغل في السياقات الهادفة إلى تعرية الحقائق وكشفها، والإبانة عن الحسنات والمساوئ، وذلك لبعد الهوة بين النقيضين[2].

يتضح لنا من خلال هذا القول بأن التضاد يكشف لنا حقيقة الشيء ويبين حسناته ومساوئه وذلك من خلال مقارنته بنقيضه فلكل صفات وميزات تجعله مختلفا عن الآخر ويناقضه. إن الشيء يعرف بضده، ولعل خير دليل على هذا قول ابن قتيبة: "لو كان كل فن من العلوم شيئا واحدا لم يكن عالم ولا متعلم ولا خفي ولا جلي؛ لأن فضائل الأشياء تعرف بأضدادها. فالخير يعرف بالشر، والنفع بالضر، والحلو بالمر، والصغير بالكبير، والباطن بالظاهر"[3].

لقد وظف الفصحاء في كلامهم الثنائيات الضدية للتدليل على فكرتهم وإقناع المتلقي بصحة رأيهم، فمما يروى في كتب الأمثال أنه قيل للفضيل بن عياض: ما أزهدك؟ قال: أنتم

[1]– ينظر: محمد قطب، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 2006م، ص55.

[2]– ينظر: عاصم محمد أمين، لغة التضاد في شعر أمل دنقل، دار صفاء، عمان، الأردن، ط1، 2005م، ص60.

[3]– ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص87.

أزهد مني، قيل: كيف؟ قال لأني زهدت في الدنيا وهي فانية، وأنتم تزهدون في الآخرة وهي باقية"[1].

الملاحظ أن المتحدث قد استعمل الثنائية الضدية (الدنيا والآخرة) و(فانية وباقية) للتأكيد على صحة فكرته وتعزيز رأيه وإقناع المتلقي بسداد كلامه وهو ما يعكس البعد الحجاجي لهذه الثنائيات ودورها في التأثير والإقناع.

كنا قد أشرنا إلى وجود الثنائيات منذ الأزل وأعطينا دليلا على ذلك من القرآن الكريم، فلو تأملنا هذا الكون الشّاسع لوجدنا بأنه يقوم على التقابل والتوازن والاختلاف؛ فالباطل موجود وضده الحق، والشر موجود ونقيضه الخير، والألم موجود ويخالفه الفرح. إن هذه الثنائيات الضدية تسهّل على المتلقي التفريق بين شيئين مختلفين متضادين، وذلك يؤكد ما أشرنا إليه سابقا، إن لكل شيء نقيضا يخالفه في الميزات والصّفات.

يجب الإشارة إلى شيء مهم جدّاً ألا وهو أثر الجمع بين أطراف متباعدة فهذا الأمر يشد المتلقي ويأسره، وهذا ما أكدّ عليه الناقد الفذ عبد القاهر الجرجاني، أثناء حديثه عن التّضاد وأثره البالغ في النّفوس، إذ نجده يقول: "ولم أرد بقولي إن الحذق في إيجاد الائتلاف بين المختلفات في الأجناس، أنك تقدر أن تحدث هناك مشابهة ليس لها أصل في العقل، وإنما المعنى أن هناك متشابهات خفية يدق المسلك إليها، فإذا تغلغل فكرك فأدركها فقد استحققتَ الفضل"[2]. ففي الجمع بين المتضادات جمالية بالغة تُمكِّن من استمالة المتلقي وتقربه من المعنى المراد.

لقد اعتمدت كثير من النصوص الأدبية (شعرية أو نثرية) على الثنائيات الضدية باعتبار أن الأدب تعبير عن النفس البشرية المتقلبة فنجد الطيب والخبيث والصادق والكاذب والأمين والخائن. لقد صاغ الشعراء نصوصهم متأثرين بهذه الثنائيات المتأصلة في التركيبة البشرية، والمتصلة بهذا الكون الفسيح منهم أبو تمام في قصيدته الشهيرة "فتح عمورية" ومثل هذا كثير في شعره، وكذا في شعر ابن زيدون خاصة في قصيدته "أضحى التنائي".

[1] – أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، تقديم وتعليق محمد زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1408هـ، ج2، ص548.

[2] – عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، (دط)،1978م،ص130-131.

كما اعتمدت كثير من النصوص النثرية المختلفة والكثير من الأمثال والحكم على الثنائيات الضدية وذلك لدورها الفعّال في التأثير والإقناع والإمتاع؛ فالضّد يؤثر تأثيرا قويا على المتلقي وهذا ما أكّد عليه عبد القاهر الجرجاني في قوله: "وهل تشكّ في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر بعد ما بين المشرق والمغرب... ويريك التئام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين والماء والنار مجتمعين."[1]

إن الثنائيات الضدية ليست مجرد حلية زائدة مقتصرة على الشكل، فهي من مقوّمات التعبير وأساس بناء النص ولها جمالية خاصة وهي لا توظف بشكل عشوائي وغير محسوب بل تتوخى في ذلك الدّقة وحسن التوظيف وهذا ما يمنح النص الأدبي جمالية تكون مضمرة أحيانا وظاهرة أحيانا أخرى، وهذا ما يجعل المتلقي في رحلة بحث دائمة عن المعنى الحقيقي للنص.

[1]– عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص132.

المبحث الثالث: ترجمة الشاعر:

1/ مولده:

هو الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة بني حمدان، يعرف بكنية أبي فراس وهي كنية الأسد كناه بها والده يوم مولده في الموصل[1] سنة 320هـ/932م، شهد الموت يترعرع منذ طفولته؛ فقد قتل أبوه وهو طفل لم يتجاوز الثالثة من عمره. وكان قتله على يد ناصر الدولة[2] بن عم أبي فراس. فتربى في أحضان أمه يتعهده ابن عمه سيف الدولة[3].

لما استولى سيف الدولة على حلب حمله معه إليها وعمر ثلاث عشرة سنة، وكانت حلب محج العلماء والأدباء آنذاك، فتخرج هنالك في جو زاخر بألوان الأدب والعلم.

ولم يقض أبو فراس حياته القصيرة في العلم والأدب فقط بل زانها بفروسية تجلت ملامحها في صحبته لسيف الدولة في غزواته ومعاركه[4].

كان أبو فراس" شجاعا أبيّ النفس، سليم الطبع، كريم الخلق، جامعا بين أدبي السيف والقلم، وكان سيف الدولة معجبا بمحاسنه مؤثرا له على سائر قومه، فاصطنعه لنفسه، و واصطحبه في غزواته، واستخلفه في أعماله"[5]؛ فكان محقق الانتصارات وملحق الانكسارات وهذا ما جعله واليا على" منبج وهو لم يتجاوز السادسة عشر من عمره، فشعر إذاك بعز الملك، وانتبه إلى خطر الرّوم والقبائل العربية المناوئة، فدافع عن إمارته خير دفاع..."[6].

---

[1] – الموصل: أرض بين العراق والجزيرة.

[2] – أبو محمد الحسن الملقب ناصر الدولة بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون المتوفي سنة: 358هـ

[3]– ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دط، 1968م، ص58.

[4]– ينظر: شوقي المعري، أبو فراس الحمداني، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2013م، ص10.

[5]– أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، دط، دت، ص303.

[6]– محمد كراكبي، خصائص الخطاب الشعري في ديوان أبي فراس الحمداني دراسة صوتية وتركيبية، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، دط، 2009م، ص17.

2/ أسره:

وقع أبو فراس أسيرا في يد الرّوم–أعداؤه–وقد تضاربت الآراء حول عدد المرات التي أسر فيها؛ والأرجح أنه أسر مرّتين؛ مرّة وهو عائد من الصيد، ومرّة أخرى في إحدى الوقائع وكانت مدة الأسر سبع سنوات وأشهرا[1]، وهناك من قال إنه أسرّ مرّة وظل في أسره أربع سنوات[2].

وقد أورد ابن خلكان روايتين مختلفتين حول هذه الحادثة، فنقل عن أبي الحسن علي بن الزراد الديلمي أن الرّوم أسرت أبا فراس في بعض وقائعها وهو جريح قد أصابه سهم بقي نصله في فخذه، ونقلته إلى خرشنة، ثم منها إلى القسطنطينية، وكان ذلك سنة348هـ وفداه ابن عمه سنة 355هـ، ولكن الناس خطأوا هذه الرواية وقالوا إن أبا فراس أسر مرتين المرة الأولى بمغارة الكحل سنة 348هـ وسيق إلى خرشنة وهي قلعة بلاد الرّوم، ويقال إن أبا فراس هرب من أسره عن طريق ركوب فرسه والقفز به من فوق حصن منيع عالٍ فهوى به إلى نهر الفرات، والمرة الثانية أسره الروم في شوال سنة351هـ وحملوه إلى القسطنطينية وفيها أقام أربع سنين كاملة[3].

وقد تضاربت آراء الباحثين حول هذا الأمر، فتبنى كارل بروكلمان رواية ابن خلكان الثانية وذكر أن أبا فراس أسر مرتين، مرة سنة 348هـ وحبسه البيزنطيون في حصن خرشنة، ولكنه فرّ منه بعد أن قام بإلقاء نفسه من مشارفه بقفزة مهلكة، وأسر مرّة ثانية سنة 351هـ وهذه المرة أخذوه إلى القسطنطينية[4].

أما الدكتور شوقي ضيف فيرى أن أبا فراس أسر مرة واحدة، وقد دامت مدة أسره أربع سنوات، وقد لخّص قصة أسره بقوله:"... وفي يوم من أيام شوال سنة 351هـ كان أبو فراس عائدا إلى منبج من الصيد مع غلمانه وإذا بكتيبة من الرّوم بقيادة (تيودور) تباغته فيدافع

[1]– ينظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط، 2005م، ص821.

[2]– ينظر: شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، مصر، الشام، دار المعارف، دط، 1975م، ص708.

[3]– ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ص59.

[4]– ينظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، دط، 1975م، ص92.

إلى أن تثخنه الجراح ويصيبه سهم في فخده ويبقى نصله فيه، ويؤسر البطل المغوار، ويقدم به تيودور إلى خرشنة ويظل فيها فترة، ثم ينتقل إلى القسطنطينية، ويذوق ذلّ الأسر وألم الجراح، غير أن نفسه تظل صلبة عاتبة لا تنكسر أبدا، بل تزداد مع الأيام عتوّا وصلابة، ويكبر الرّوم في أبي فراس فروسيته وبطولته فيتولونه في قصر على البحر ويخصصون له خادما يقوم بأمره، ويأبى أن يخلع دروعه وسلاحه، فيظل بهما في أسره، ويطول الأسر أربع سنوات، فتكثر أشعار أبي فراس إلى أهله وسيف الدولة وإخوانه مؤملا في الإسراع بفدائه"[1].

وإلى هذا الرّأي يميل أحمد حسن الزيات حيث نجده يقول:" ... كان النصر حليفه في كلِّ وقائعه، فمالت إليه القلوب ولهجت بفكره الألسن، وانطلق لسانه برائع الشعر في الفخر والحماسة ووصف الحروب، حتى خانه الفوز فأسره في بعض الوقائع وهو جريح قد أصابه سهم بقي نصله في فخذه، فسجنوه بخرشنة، ثم نقلوه إلى القسطنطينية... وتعذّرت المفاداة فلبث في الأسر أربع سنين ظهرت فيها أشعاره الروميات؛ ملأى بعواطف الحب والحنين إلى أهله وأحبابه... ولم يزل أبو فراس يعالج مرارة الأسر وحرارة الشوق حتى تنوظر في الهدنة والأسرى فأطلقه الرّوم بعد أن أكرموه وبجّلوه"[2].

وأغلب الظن أن أبا فراس وقع في الأسر مرّتين، لكنه نجا من أسره الأوّل حين خاطر بنفسه وقفز قفزة مميتة بفرسه من أعلى الحصن وكان ذلك سنة 351هـ ولكن لسوء حظه وقع بعد ذلك في الأسر مرّة أخرى وشاءت الأقدار أن يبقى أسيرا عند الرّوم أربع سنوات كاملة ذاق فيها غدر الأصحاب والدهر ومرارة السِّجن ومعاناة الفقد والشَّوق، فكانت تجربته في الأسر تجربة مؤلمة جعلته يتخبّط ويتأرجح بين الألم والأمل، بين الانكسار والانتصار،بين الغدر والوفاء "وكانت هذه التجربة المؤلمة كفيلة بأن تفجِّر طاقات الإبداع الشّعري، وأن توجّه شعره وجهة أخرى".[3]

[1]– شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، ص708.

[2]– أحمد حسن الزّيات، تاريخ الأدب العربي، ص303.

[3]– فوزي عيسى، اتجاهات جديدة في شعر القرنين الثالث والرابع الهجريين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، دت، ص80.

وبعد مكابدة وعناء شديدين قام سيف الدولة بافتداء الشاعر الجريح وكان ذلك سنة355هـ "فعاد إلى وطنه بعد مرارة شرب كأسها حتى الثمالة، وبعد طعنة أصابته في فخذه، وبعد انكفاء على جروحه الجسدية والنفسيّة علمه أن شرّح قلبه ويستكشف أسراره، كما علمه أن يبكي وأن يجد في الدّمع عزاءًا، ويقول شعراً هو عصارة تلك النّفس الشريفة المتألمة".[1]

3/ مقتله:

حين توفي سيف الدولة سنحت لأبي فراس الذي لم يبلغ بعد السّادسة والثلاثين فرصة الحلول مكانه، لكنّ الحاشية التركية في قصر الإمارة نصّبت الصبي "أبا المعالي" ابن سيف الدولة على حلب وهو ابن أخت الشاعر، فلم ترق للخال لعبة الترك الطّامحين إلى تسيير الإمارة من خلف صبيّ لا خبرة له بالحكم.

يقول حنا الفاخوري:"...وفي سنة967م مات سيف الدولة في فراشه فلم يقل أبو فراس في رثائه شعراً، بل فكّر في التغلب على حمص واقتطاعها. قال ابن خالويه: لما مات سيف الدولة رحمه الله، عزم أبو فراس على التغلب على حمص، فاتّصل خبره بأبي المعالي بن سيف الدّولة؛ وغلام أبيه فرغويه، وكان صاحب حلب، فأرسل إليه من قاتله، فأخذ، وقد ضُرب ضربات، فمات في الطريق وكان ذلك سنة357/968هـ".[2]

كما ذكر أحمد حسن الزيّات في كتابه: تاريخ الأدب العربي حادثه مقتل البطل المغوار أبو فراس فقال:" ولما خرج قمر البيان من سراره، أطلق أسد الحرب من إساره، لم تمهله المنية أن يستردّ ما ذهب من شبابه أيّام عذابه، فتوفي سيف الدولة وخلفه ولده أبو المعالي ابن أخت أبي فراس؛ فأراد الأمير الشّاعر أن يضمّ إليه مدينة حمص فأبى عليه أبو المعالي، وجرت بينهما معركة قُتل فيها أبو فراس وهو لدن العود غض الإهاب".[3]

[1]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص822.

[2]– نفسه، ص822.

[3]– أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص304.

لقد دبّر أبو المعالي لأبي فراس مقتلة على يد حاشيته، فرحل يانعاً وبقي صوته يصدح في بريّة الشّعر حالمًا طموحًا غلب فيه الأمير على الشّاعر والفارس على العابر"... أوغر قرغويه صدر أبي المعالي على خاله فأرسله بجيش إلى محاربته... غُلب أبو فراس وجُرح... وقطع رأسه وحمل إلى أبي المعالي، وتركت جثته ملقاة في الفلاة إلى أن مرّ بعض الأعراب بها فواروها في التراب، فخسر الحمدانيون به رجلا من ألمع رجالهم في الفروسيّة والشّعر".[1]

فعلاً لقد قُتل أسد المعارك وملك الملوك وشاعر الشعراء، لكنه مازال حيّا بشعره وبطولاته ،بكلماته وانتصاراته،إنه فارس عصره وأسطورة زمانه.

4/ صفاته:

كما سبق وأشرنا كان أبو فراس كريم الخلق، أبيّ النفس، ذا هيبة ووقار وقد كان فارس اللّسان والسّنان ولعلّ شعره ونخصّ بالذّكر روملياته أنصع دليل على ذلك. "كان أبو فراس... بطلاً أبيّا سخيّا معجبا بشعره ونفسه، كثير الفخر بأصله وقومه، عَزُوفًا عن الشراب والمجون؛ فبرى شعره من كلِّ ذلك وانطبعت أخلاقه فيه"[2]. يقول أبو فراس مفتخرا بقومه[3]:

لَـــــــئِنْ خُلِـــــــقَ الْأَنَـــــــامُ لِحَسْـــــــوِ كـــــــأسٍ
وَمِزْمَـــــــــــارٍ، وَطُنْبُـــــــــــورٍ، وَعُـــــــــــودِ
فَلَـــــــــمْ يُخْلَـــــــــقْ بَنُـــــــــو حَمْـــــــــدَانَ إِلاَّ
لِمَجْـــــــــــدٍ، أَوْ لِبَـــــــــــأْسٍ، أَوْ لِجُـــــــــــودِ

إن هذين البيتين الشعريّين يلخصان لنا شخصية أبا فراس الحمداني الذي انسلخ عن الملذات والشهوات التي شغلت الأنام (الخمر، الموسيقى، النساء..) بل طهّر نفسه من الهوى وسعى دائما إلى تحقيق المجد السؤدد والعزّ.

[1]–أبو فراس الحمداني، الديوان، رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص97.

[2]– أحمد حسن الزيّات، تاريخ الأدب العربي، ص304.

[3]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص97.

ثم انظر للحسّ الجمعي عند أبي فراس فهو يشمل قومه بالعزّ الذي يعيشه؛ فلم يبخصم حقهم وهذا من النبل والخلق الكريم والانتساب إلى أصل وسؤدد محتذ.

فأبو فراس لم يتغنّ بالمفاسد والمآثِم والعيوب، وشعره كان بعيدا عن المجون واللّهو والعبث، ويمكن أن نعدّ ديوانه مدرسة أخلاقيّة تُربّي النّفوس على الفضيلة والعزّة والرّجولة والكرامة والإباء وتنهاها عن الرّذيلة والجبن والبلادة والأخلاق السيّئة.

قال فيه الثّعالبي رحمه اللّه:" كان فرد دهره، وشمس عصره، أدباً وفضلا، وكرماً ونبلاً، ومجدا وبلاغة، وبراعة وفروسيّة وشجاعة، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة، والسّهولة والجزالة، والفخامة والمتانة والحلاوة، ومعه رواء الطبع وسمة الظّرف وعزّة الملك..."[1] .

هذه إحدى الشهادات التي تثبت مكانة أبي فراس في عصره، فهو البطل المغوار والشاعر المتمكّن والمسلم الحق الذي سار في الحياة يبغي المجد والعزّ وطلّق الدنيا وملذّاتها واتّبع نهج الإسلام ولم يغره مال ولا جاه.

" كان الفتى الحمداني يسير في طريق السّيف والقلم... ويسعى إلى المجد بكلّ جوارحه... وكان إذا فرغ إلى البلاط ونفض غبار الحرب يقول الشّعر، وينصرف إلى مناظرة الشعراء والعلماء حتى صار محطّ الآمال وقبلة الأنظار".[2]

كان أبو فراس طويلا تبدو عليه دلائل القوّة والبطش، وكان رحب المنكبين فقد وصف نفسه بقوله:[3]

متـــــى تخلـــــف الأيـــــام مثلـــــي لكـــــم فتـــــى
طويـــــل نجـــــاد الســـــيف رحـــــب المقلـــــد[1]

[1]– أبو منصور الثعالبي عبد الملك بن محمد، يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محمد محيي الدّين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، م1، 1973م، ص35.

[2]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص820.

[3]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص84.

متـــــــى تلـــــــد الأيـــــــام مثلـــــــي لكـــــــم فتـــــــى
شـــــــديدا علـــــــى البأســـــــاء، غيـــــــر الملهـــــــد[2]

وفي قوله هذا افتخار بصفاته الجسمية، فقد كان طويل القامة، عريض الكتفين، قويّا ذو بطش يزرع الرّعب والفزع والخوف في قلب عدوّه، وهو بهذا يعدّ نفسه أسطورة زمانه وسيّد عصره وأعجوبة لن يكرّرها الدّهر أبدا.

من الأخلاق الكريمة التي تحلّى بها أبو فراس أيضا الصّدق والابتعاد عن الكذب وفي هذا يقول:[3]

وإنـــــــــي لمجتهـــــــــد فـــــــــي الجحـــــــــود
ولكـــــــــن نفســـــــــي تـــــــــأبى الكـــــــــذب

فشخصية أبي فراس تتحلى بالصدق والوفاء وتكره الكذب، فالكاذب برأيه هو من يتنكر للحبيب والصديق أو القريب، فعلى الصديق الحقّ أن يجود بنفسه في سبيل صديقه كما تتميز شخصية أبي فراس بالصبر على الشدائد والنائبات وأحلك الأيام وأقساها حيث نجده يقول[4]:

صَـــــــبورٌ وَلـــــــو لَـــــــم تَبـــــــقَ مِنّـــــــي بَقِيَّـــــــةٌ
فَـــــــؤولٌ وَلَـــــــو أَنَّ السُـــــــيوفَ جَـــــــوابُ

"وفوق هذا وذاك فإنه يعلو على الجراح ويسامح ويصفح، وإذا ما لقي بعداً وتجافيا من صاحبٍ صاحبه وقرّبه إلى قلبه ونفسه، وإذا ما أساء أحدهم فإنه يسامحه، ويدفع عنه الشرّ إذا ما تعرض له"[5].

---

[1]– رحب المقلد: كناية عن سعة مابين الكتفين.

[2] – الملهد: الذليل الضعيف.

[3]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص22.

[4]– المصدر نفسه، ص24.

[5]– شوقي المعرّي، أبو فراس الحمداني، ص16.

إن الشيّم الحميدة التي تحلى بها أبو فراس الحمداني كثيرة، حيث نادرا ما نجدها تتوفر في إنسان واحدٍ منها: الكرم والتسامح، والوفاء والشجاعة، وعزة النفس، وكتمان السرّ، والصبر والصدق، ويكاد هذا البيت الشعري لأبي فراس يلخص صفاته وأخلاقه النبيلة التي يتمنى أن تتوفر في كل إنسان، قال الشاعر[1]:

صـــــــادِقُ الـــــــوِدِّ خـــــــالِصُ العهـــــــدِ أُنســـــــي
فـــــــي حُضـــــــوري مُحـــــــافِظٌ فـــــــي مغيبـــــــي

"إنه يرى الأخلاق الحميدة تتمثل في صدق الوفاء ونقائه بين الناس، وفي الإخلاص للعهد الذي يقسم به الإنسان وما أعظم من أن يفي الإنسان بعهد أقسمه أمام الآخرين"[2].

وسيكون لنا لقاء أكثر عمقاً وأكثر توسعاً مع هذه الشخصية الفذّة التي لا يزال يتردد صداها بين جوانحنا في الفصل التطبيقي إن شاء اللّه.

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص54.

[2]– شوقي المعرّي، أبو فراس الحمداني، ص17.

المبحث الرابع: الأغراض الشعرية في ديوانه:

جاء شعر أبو فراس الحمداني على مثال الشعر القديم متانة وأسلوبا، فقد نسج على منوال الشعراء القدامى، وطرق مختلف فنون الشعر وأغراضه فأجاد، إلا أننا نتلمس في رومياته نكهة خاصة جعلته متميزا عن غيره، ومن بين أبرز الأغراض التي تناولها نذكر:

1/ الفخر:

كثيرة هي تلك القصائد التي تحدث فيها أبو فراس عن افتخاره بنفسه وشجاعته، ونبل أخلاقه حتى أيام أسره "يشغل الفخر مساحة واسعة في شعر أبي فراس عامة، وفي رومياته خاصة. حتى ليكاد يقف جلّ شعره عليه. فالفخر هو الغاية التي يطمح إليها أبو فراس من نظم الشعر. والحق أنه أعاد الفخر إلى عصوره الزاهية"[1]. يقول في إحدى قصائده مفتخرا بنفسه فارسا وشاعرا[2]:

إذا صُـــلتُ يَومـــاً لَـــم أَجِـــد لـــي مُصـــاوِلاً
وَإِن قُلـــتُ قَـــولاً لَـــم أَجِـــد مَـــن يُقـــاوِلُ

نجد الشاعر يشهد لنفسه بالشجاعة والفروسيّة والقوّة، فهو البطل المغوار الذي لا يجاريه أحد في ساحة المعركة، كما نجده يفتخر ببراعته في قول الشعر وتفوقه على غيره من الشعراء، فهو فارس اللسان والسنان.

ولأبي فراس بيت شعري يعدّ من أروع الأبيات الشعرية التي سارت بها الركبان وجرى مجرى المثل، وقلما نجد أعرابيا لا يحفظه أو يستشهد به ألا وهو قوله[3]:

سَـــــــيَذكُرُني قَـــــــومي إِذا جَـــــــدَّ جِـــــــدُّهُم
وَفـــــــي اللَيلَـــــــةِ الظَلمـــــــاءِ يُفتَقَـــــــدُ البَـــــــدرُ

[1]– فوزي عيسى، اتجاهات جديدة في شعر القرنين الثالث والرابع الهجريين، ص91–92.

[2]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص217.

[3]– نفسه، ص161.

فالبيت الشعري ورد في قصيدة رائعة لأبي فراس الحمداني والتي عدّها النّقّاد والأدباء من عيون الشعر العربي" أراك عصيّ الدّمع" والمتأمل لهذا البيت يجد أنه أُشبع معنى ومبنى وحكمة ولهذا كتب لنفسه الخلود، فأبو فراس كان أسيرا في سجن الروم يتجرع مرارة الأسر وألم الوجد وغدر الدهر حيث لم يقم سيف الدولة بافتدائه، وفي هذا البيت الشعري يذكر أبو فراس قومه بفضله عليهم ونكرانهم جميله لكنهم سيندمون على فعلتهم إذا ما حلّت بهم النوائب ومسّهم الضرّ وسيتذكّرونه لا محالة، لأنه البطل المغوار والفارس الشجاع الذي لا يهاب صليل السّيوف ولا طعنات القنا.

كنّا قد أشرنا فيما سبق إلى ذلك الحسّ الجمعي عند أبي فراس، وأنه كان كثير الفخر بقومه، حيث شملهم بالعزّ والسّؤدد والمجد الذي يعيشه. وهذا أنصع دليل على نبل أخلاقه، وأصالة نسبه. بلغه أنّ أحد الملوك أظهر دهشته من عظمة ملك الحمدانيين وكبر شأنهم فأنشد:[1]

أَتَعجَبُ أَن مَلَكنا الأَرضَ قَسراً
وَأَن تُمسي وَسائِدَنا الرِقابُ
وَتُربَطُ في مَجالِسِنا المَذاكي
وَتَبرُكُ بَينَ أَرجُلِنا الرِكابُ
فَهَذا العِزُّ أَورَثَنا العَوالي
وَهَذا المُلكُ مَكَّنَهُ الضِرابُ

إن مكانة الحمدانيين لم تأت هباءً فالمجد والعزّ والسؤدد الذي يعيشونه هو نتيجة تضارب السّيوف والرّماح؛ ففي الحرب طعامهم وشرابهم. ويقول أيضا:[2]

وَنَحنُ أُناسٌ لا تَوَسُّطَ عِندَنا
لَنا الصَدرُ دونَ العالَمينَ أَوِ القَبرُ

[1]- أبو فراس الحمداني، الديوان، ص58.

[2]- نفسه، ص161.

تَهـــــونُ عَلَينـــــا فـــــي المَعـــــالي نُفوسُـــــنا
وَمَـــــن خَطَـــــبَ الحَســـــناءَ لَـــــم يُغلِهـــــا المَهـــــرُ
أَعَـــــزُّ بَنـــــي الـــــدُنيا وَأَعلـــــى ذَوي العُـــــلا
وَأَكـــــرَمُ مَـــــن فَـــــوقَ التُـــــرابِ وَلا فَخـــــرُ

يؤكد أبو فراس على النّهج الذي يسير عليه الحمدانيّون ألا وهو الحياة بعزّة وكرامة أو الموت بين الأكنّة والأعنّة، وهنا شبه الشاعر العزّ والمجد الذي يروم الفارس أن يصل إليه بالحسناء الفاتنة التي يهون المهر أمام جمالها ورونقها؛ كما يعتبر أن الحمدانيين أعزّ النّاس مكانة وأعلاهم شأنا وأكرمهم خلقا وليس في هذا مغالاة أو مكابرة فهي حقيقة كائنة.

"إن الفخر الذي تميز به أبو فراس جعله لا يهاب الموت، ومن أراد أن يعتلي المناصب عليه أن يضحي في سبيلها بكل غال ونفيس حتى النّفس، وهي أغلى ما يملكه الإنسان"[1] .

إن قصيدة" أراك عصيّ الدّمع" لديها مكانتها وثقلها في الشعر العربي كيف لا وقد تجسّدت فيها كل معاني القوّة والمجد الذي تميز بها العرب عبر تاريخهم الزاخر بالبطولات؛ ففيها يرتفع صوت الفخر الجماعي وتتصهر الذّات في المجموع وعنها يقول شوقي ضيف:" والقصيدة تعويذة رائعة لفترة العرب وصلابتهم، وهي جديرة بأن يضمّها كل شابٍّ عربيّ إلى صدره وذاكرته، يحفظها ويترنم بأبياتها البديعة"[2].

يقول حنا الفاخوري:" وأبو فراس في فخره قديم الأسلوب، يرتكز على تعداد المفاخر وذكر الأيام والتعالي المفرط، وهو لا يحسن تفصيل مواقع القتال، ولا يحسن بناء الملاحم الحربية، لأنه قصير النفس الشعري وإن طالت أحيانا قصائده، وجيشانه لا ينطلق من أعماق عنيفة الاهتزاز، ووثباته الخيالية تضطرب في نطاق ضيّق"[3].

[1]– شوقي المعري، أبو فراس الحمداني، ص58.

[2]– شوقي ضيف، عصر الدّول والإمارات، ص711.

[3]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص829.

يبقى أبو فراس الحمداني شاعر الحربيات والفخر فقد عاش بين الأعنّة والأكنة يبغي المجد ويسعى لتحقيق مرامه ألا وهو العيش بعزّة وسؤدد أو الموت بشرف ونخوة.

2/المدح:

نجد غرض المدح عند أبي فراس الحمداني قد تمركز في نطاق ضيق، حيث لا نجد في شعره مديحا إلا لنفر محدود منهم سيف الدّولة وبعض أصحابه وهذا راجع لكونه ينحدر من أسرة حاكمة ذات منزلة وشرف" وكان يشيّع لآل البيت وله فيهم ثلاث قصائد هي من أروع شعره"[1] حيث مدحهم وأعرب عن إخلاصه وصدق حبه لهم.

لأبي فراس قصائد كثيرة في مدح بن عمه سيف الدولة الحمداني، حيث وصفه بالعطف والقوّة والحكمة والكرم والشجاعة. يقول أبو فراس في مدح عمّه:[2]

قَـــد ضَـــجَّ جَيشُـــكَ مِـــن طـــولِ القِتـــالِ بِـــهِ
وَقَـــد شَـــكَتكَ إِلَينـــا الخَيـــلُ وَالإِبِـــلُ
وَقَـــد دَرى الـــرومُ مُـــذ جـــاوَرتَ أَرضَـــهُمُ
أَن لَـــيسَ يَعصِـــمُهُم سَـــهلٌ وَلا جَبَـــلُ

نجد أبا فراس يمدح بن عمه بالقوة والبطش والشجاعة، فهو دائم القتال حيث لم يترك للرّوم مأوى يرتاحون فيه من تلك المعارك التي خاضها سيف الدّولة معهم فكان النصر حليفه الذي لا يفارقه أبدا وهذا ما أرهق أعداءه وأتعبهم. وقال فيه أيضا:[3]

هَـــذي شُـــيوخُ بَنـــي حَمـــدانَ قاطِبَـــةً
لاذوا بِـــدارِكَ عِنـــدَ الخَـــوفِ وَاِعتَصَـــموا
فَكُنـــتُ مِـــنهُم وَإِن أَصـــبَحتَ سَـــيِّدَهُم
تَواضُـــعُ المُلـــكِ فـــي أَصـــحابِهِ عِظَـــمُ

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص6.

[2]– نفسه، ص220.

[3]– نفسه، ص270.

نجد أبا فراس يمدح سيف الدولة ويصفه بالتواضع والعطف على المستضعفين، فهو يفتخر بابن عمه ويمدحه لأنه قام بحماية ناصر الدولة لما هرب من أخيه معزّ الدولة ولجوئه إليه بل وقام بالتدخل في الصلح بينهما. ويقول في مدح آل البيت عليهم السلام:[1]

لَســـــتُ أَرجـــــو النَجـــــاةَ مِـــــن كُـــــلِّ مـــــا أَخ
شـــــــــــــاهُ إِلّا بِأَحمَـــــــــــــدٍ وَعَلِـــــــــــــيٍّ
وَبِبِنـــــــــــتِ الرَســـــــــولِ فاطِمَـــــــــــةِ الطُـــــــــــه
رِ وَسِـــــــــــــبطَيهِ وَالإِمـــــــــــــامِ عَلِـــــــــــــيٍّ
وَالتَقِـــــــــــيِّ النَقِـــــــــــيِّ بـــــــــــاقِرِ عِلـــــــــــمِ ال
لَـــــــــهِ فينـــــــــا مُحَمَّـــــــــدِ بـــــــــنِ عَلِـــــــــيٍّ
وَابنِـــــــــــهِ جَعفَـــــــــــرٍ وَموســـــــــــى وَمَـــــــــــولا
نـــــــا عَلِـــــــيٍّ أَكـــــــرِم بِـــــــهِ مِـــــــن عَلِـــــــيٍّ
وَأَبـــــــــي جَعفَـــــــــرٍ سَـــــــــمِيِّ رَســـــــــولِ ال
لَـــــــــهِ ثُـــــــــمَّ اِبنِـــــــــهِ الزَكِـــــــــيِّ عَلِـــــــــيٍّ
وَابنِـــــــــــهِ العَســـــــــكَرِيِّ وَالقـــــــــائِمِ المُـــــــــظ
هِـــــــــرِ حَقّـــــــــي مُحَمَّـــــــــدِ بـــــــــنِ عَلِـــــــــيٍّ
بِهِـــــــــم أَرتَجـــــــــي بُلـــــــــوغَ الأَمـــــــــاني
يَـــــــومَ عَرضـــــــي عَلـــــــى الإِلَـــــــهِ العَلِـــــــيٍّ

في هذه القصيدة ذكر للأئمة الاثني عشر وإشارة إلى مناقبهم ورجاء شفاعتهم يوم الدين، والمتشربة للقيم السامية والمبادئ العليا وهذا الشيء قلّما نجده عند أبناء الملوك والسلاطين. وكتب إلى أخيه أبي الهيجاء يمدحه:[2]

حَلَلـــــــتُ مِـــــــنَ المَجـــــــدِ أَعلـــــــى مَكـــــــانِ

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص313.

[2]– نفسه، ص297.

وَبَلَّغَـــــــكَ اللَـــــــهُ أَقصـــــــى الأَمـــــــاني
فَإِنَّـــــــكَ لا عَـــــــدِمَتكَ العُـــــــلا
أَخٌ لا كَـــــــإِخوَةِ هَـــــــذا الزَمـــــــانِ
صَـــــفاؤُكَ فـــــي البُعـــــدِ مِثـــــلُ الـــــدُنُوِّ
وَوُدُّكَ فـــــي القَلـــــبِ مِثـــــلُ اللِسـانِ

نلاحظ أن أبا فراس يمدح أبا الهيجاء ويعدّد مآثره، فهو رجل ذو مكانة وشأن عظيمين، ويتّسم بالصدق، وحفظ الودّ والوفاء ،حافظ لأسراره، صافٍ في محبّته.

3/الهجاء:

نجد أن غرض الهجاء عند أبي فراس قد اقتصر على هجوم الأعداء–الرّوم–فقد عُرف أبو فراس بكراهيته الشديدة للرّوم فنراه يرسم" لهم صورا مزرية، ويصفهم بأوصاف ذميمة، وهو شعور طبيعي في سياق العداء والصّراع والأسر"[1].

يقول في حثّ ابن عمه على سرعة افتدائه واصفا أحد قواد الرّوم الأسرى بـ "كلب الرّوم"[2]:

فَـــــلا كـــــانَ كَلـــــبُ الـــــرومِ أَرأَفَ مِـــــنكُمُ
وَأَرغَـــــبَ فـــــي كَســـــبِ الثَنـــــاءِ المُخَلَّـــــدِ
وَلا بَلَـــــغَ الأَعـــــداءُ أَن يَتَناهَضـــــوا
وَتَقعُـــــدَ عَـــــن هَـــــذا العَـــــلاءِ المُشَـــــيَّدِ
أَأَضـــــحَوا عَلـــــى أَســـــراهُمُ بِـــــيَ عُـــــوَّداً
وَأَنـــــتُم عَلـــــى أَســـــراكُمُ غَيـــــرُ عُـــــوَّدِ

[1]– فوزي عيسى، اتجاهات جديدة في شعر القرنين الثالث والرابع الهجريين، ص101.

[2]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص84.

فالشاعر يصف الرومي الأسير بالكلب وفي هذا هجاء لاذع ينمّ عن كراهية شديدة اتجاه الرّوم؛ فهو لا يستحق أيّة منزلة أو مكانة.

تحدث أبو فراس في روملياته عن مناظرة وقعت بينه وبين الدمستق، حيث قال له هذا الأخير:" إنما أنتم كتاب ولا تعرفون الحرب، فرد عليه أبو فراس قائلا: نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام؟"[1]، فأسكته ثم راح يسخر منه واصفا إياه بـ: ضخم اللغاديد أي لحمه في الحلق، وفي هذا كناية عن ضخامة الرقبة. ويذكره بانتصارات الحمدانيين على الروم، وبعدد الأسرى والقتلى الذين وقعوا في ساحات المعارك فيقول:[2]

أَتَـــــزعَمُ يـــــا ضَـــــخمَ اللَغاديـــــدِ أَنَّنـــــا
وَنَحـــــنُ أُســـــودُ الحَـــــربِ لا نَعـــــرِفُ الحَربـــــا
فَوَيلَـــــكَ مَـــــن لِلحَـــــربِ إِن لَـــــم نَكُـــــن لَهـــــا
وَمَـــــن ذا الَّـــــذي يُمســـــي وَيُضـــــحي لَهـــــا تِربـــــا؟
وَوَيلَـــــكَ مَـــــن أَردى أَخـــــاكَ بِمَـــــرعَشٍ
وَجَلَّـــــلَ ضَـــــرباً وَجـــــهَ والِـــــدِكَ العَضـــــبا؟
وَوَيلَـــــكَ مَـــــن خَلّـــــى اِبـــــنَ أُختِـــــكَ موثِقـــــاً
وَخَـــــلّاكَ بِاللَقّـــــانِ تَبتَـــــدِرُ الشَـــــعبا
لَقَـــــد جَمَعَتنـــــا الحَـــــربُ مِـــــن قَبـــــلِ هَـــــذِهِ
فَكُنّـــــا بِهـــــا أُســـــداً وَكُنـــــتَ بِهـــــا كَلبـــــا

إنه هجاء لاذع للروم وسخرية مخزية، فالعرب يجيدون فنون الحرب والقتال وقد ألحقوا بالروم هزائم متكررة وانتكاسات كثيرة، ووصف الشاعر أبو فراس الدمستق بالجبان الذي يفر من ساحة القتال، ونلاحظ تكرر صورة الكلب في شعره بكثرة،وهذا دليل على الحقد والكراهية التي تعتمر صدر أبا فراس اتّجاه الأعداء.

[1]- أبو فراس الحمداني، الديوان، ص42.

[2]- نفسه، ص42.

ويواصل أبو فراس حملة الهجاء ضدّ الرّوم والسخرية منهم ومن معتقداتهم ويعتزّ بعقيدته الإسلامية ويفخر كونه مسلما فيقول:[1]

أَمـــــا مِـــــن أَعجَـــــبِ الأَشـــــياءِ عِلـــــجٌ
يُعَرِّفُنـــــــي الحَـــــــلالَ مِـــــــنَ الحَـــــــرامِ
وَتَكنُفُـــــــــهُ بِطارِقَـــــــــةٌ تُيـــــــــوسٌ
تُبـــــــــارى بِالعَثـــــــــانينِ الضِـــــــــخامِ
لَهُـــــم خِلَـــــقُ الحَميـــــرِ فَلَســـــتَ تَلقـــــى
فَتـــــىً مِـــــنهُم يَســـــيرِ بِـــــلا حِـــــزامِ
يُريغـــــــونَ العُيـــــــوبَ وَأَعجَـــــــزَتهُم
وَأَيُّ العَيـــــــبِ يوجَـــــــدُ فـــــــي الحُســـــــامِ
وَأَصـــــــعَبُ خُطَّـــــــةٍ وَأَجَـــــــلُّ أَمـــــــرٍ
مُجالَسَـــــــةُ اللِئـــــــامِ عَلـــــــى الكِـــــــرامِ

4/الغزل:

يعدّ أبو فراس الحمداني من أرق الشعراء غزلا، فشعره يخفق بالحب الصادق والوفاء الذي يكون بين المحبّين حيث نستنشق من شعره رحيق ذلك الحب الطاهر العفيف العذري الذي لا يشوبه مجون ولا فحش. ونجده في إحدى قصائده يشتكي ألم الحب ولوعة الاشتياق فيقول:[2]

الحُـــــــزنُ مُجتَمِـــــــعٌ وَالصَـــــــبرُ مُفتَـــــــرِقُ
وَالحُـــــــبُّ مُختَلِـــــــفٌ عِنـــــــدي وَمُتَّفِـــــــقُ
وَلـــــــي إِذا كُـــــــلَّ عَـــــــينٍ نـــــــامَ صـــــــاحِبُها

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص276

[2]– نفسه، ص201.

عَـــــــينٌ تَحـــــــالَفَ فيهـــــــا الـــــــدَمعُ وَالأَرَقُ
لَـــــولاكِ يـــــا ظَبيَـــــةَ الإنـــــسِ الَّتـــــي نَظَـــــرَت
لَمـــــا وَصَـــــلنَ إِلـــــى مَكروهِـــــيَ الحَـــــدَقُ

يصف الشاعر حزنه وألمه من الحب الذي سكن فؤاده، وكيف جعله هذا الحبّ يعاني الأرق والأسى، فمحبوبته أسرت قلبه وعقله وجعلته يتخبط في الشوق والحنين بينما تنعم هي بالرّاحة والنّوم. وقال ينصح العشاق:[1]

يـــــامَن يَلـــــومُ عَلـــــى هَـــــواهُ جَهالَـــــةً
اِنظُـــــر إِلـــــى تِلـــــكَ السَـــــوالِفِ وَاِعـــــذُرِ
حَسُـــــنَت وَطـــــابَ نَســـــيمُها فَكَأَنَّهـــــا
مِســـــكٌ تَســـــاقَطَ فَـــــوقَ وَردٍ أَحمَـــــرِ

نجد أن أبا فراس يوصي المحبّ أن يعذر محبوبته ويتغاضى عن أخطائه، فيكفيه منها أنها تأسر العين بجمال شعرها وطيب رائحتها، فهي كالوردة الحمراء الجميلة التي تساقط عليها المسك فزادها حسناً وجمالاً ورونقاً.

يقول أبو فراس في وصف محبوبته وخوفها عليه جرّاء إصابته بطعنة في وجهه بقي أثرها فيه:[2]

لَمّـــــا رَأَت أَثَـــــرَ السَـــــنانِ بِخَـــــدِّهِ
ظَلَّـــــت تُقابِلُـــــهُ بِوَجـــــهٍ عـــــابِسِ
خَلَـــــفَ السِـــــنانُ بِـــــهِ مَواقِـــــعَ لَثمِهـــــا
بِـــــئسَ الخِلافَـــــةُ لِلمُحِـــــبِّ البـــــائِسِ

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص 171.

[2]– نفسه، ص174.

لأبي فراس" غزل رقيق تتضاءل فيه عزّة الملك أمام سلطان الحبّ، فيكون أتمّ جلالا وأشدّ روعة"[1]. ويرى أبو فراس أن أصعب الحبّ أوّله، فالجيب الأول يعسر نسيانه حيث نجده يخاطب أحد المعافين منه ويطلب منه الإعانة:[2]

أَيـــــــا مُعـــــــافى مِـــــــن رَســـــــيسِ الهَـــــــوى
يَهنيـــــــــكَ حـــــــــالُ الســـــــــالِمِ الغـــــــــانِمِ
أَعانَـــــــــكَ اللَـــــــــهُ بِخَيـــــــــرٍ أَمـــــــــا
تَكـــــــونُ لـــــــي عَونـــــــاً عَلـــــــى الظـــــــالِمِ

فالشاعر يشتكي من ألم الحبّ والفقد، فهو لم يستطع أن ينسى محبوبته التي ظلمته بصدّها وهجرها، ويطلب العون ممن تعافى وخلص قلبه من الحبّ الأوّل ويسأله أن يريه السّبيل إلى نسيان وتخطي هذا الشوق والحنين إلى المحبوبة.

وقد وصف حنا الفاخوري غزل أبي فراس بقوله:" لأبي فراس في الغزل مقطوعات وأبيات رقيقة لكنّها خالية من التدفّق العاطفي العميق... وإننا نجد الشاعر صفوحاً، لين الجانب، ناعم الحديث، إنه بعيد عن الانفجارات الشديدة، بعيد عن التغلغل إلى أعماق النّفس، وهو في حديثه يروق ولكنّه لا يهزّ ولا يثير الانفعالات القوية"[3].

ويمكن القول إن غزل أبي فراس غزل عفيف شريف، تغلب عليه الرقة والحلاوة، كما أن أغلبه يصف ألم الحب وهجران المحبوب ولوعة الاشتياق.

[1]– أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ص304.

[2]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص273.

[3]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص830.

5/الرثاء:

إذا جئنا للحديث عن غرض الرّثاء عند أبي فراس فسنجد أنّ رثاءه تميز بالحكم والمواعظ التي تبيّن أنّ الموت مصير كل إنسان وهذا الكون مصيره الفناء والاندثار. رثى أبو فراس نفسه يوم مقتله وخاطب ابنته قائلا:[1]

أَبُنَيَّتي لاتَحزَني
كُلُّ الأَنامِ إِلى ذَهابِ
أَبُنَيَّتي صَبراً جَميِ
لاً لِلجَليلِ مِنَ المُصابِ
نوحي عَلَيَّ بِحَسرَةٍ
مِن خَلفِ سِترِكِ وَالحِجابِ
قولي إِذا نادَيتِني
وَعَيَيتِ عَن رَدِّ الجَوابِ
زَينُ الشَبابِ أَبو فِرا
سٍ لَم يُمَتَّع بِالشَبابِ

نلاحظ أبا فراس يوصي ابنته بالتجلّد والصّبر على فراقه، باعتبار أن الموت هو نهاية كل إنسان، فقد مات أبو فراس شابا يانعا لم يتمتع بالشباب كغيره لكنّه راضٍ عن نفسه كونه عاش بعزّة وكرامة ومات ميتة الأبطال. وقال يرثي أخته ويجرّد من نفسه شخصا يخاطبه:[2]

أَتَزعُمُ أَنَّكَ خِدنُ الوَفاءِ
وَقَد حَجَبَ التُربُ مَن قَد حَجَب
فَإِن كُنتَ تَصدُقُ فيما تَقولُ

[1]- أبو فراس الحمداني، الديوان، ص55.

[2]- نفسه، ص49.

فَمُـــــت قَبـــــلَ مَوتِـــــكَ مَـــــع مَـــــن تُحِـــــب
عَقيلَتِـــــــــيَ اِســـــــــتُلِبَت مِـــــــــن يَـــــــــدي
وَلَمّـــــــــا أَبِعهـــــــــا وَلَمّـــــــــا أَهَـــــــــب
وَكُنـــــــــتُ أَقيـــــــــكِ إِلـــــــــى أَن رَمَتـــــــــكِ
يَـــــدُ الـــــدَهرِ مِـــــن حَيـــــثُ لَـــــم أَحتَسِـــــب

إن الشاعر يتحسّر على فقدان أخته تلك الأميرة الكريمة، إحساسه بالفاجعة جعله يزدري نفسه ويستصغرها فهو مستعد لفداء أخته بحياته، فقد كان يحميها ويقيها من نوائب الدّهر لكنّ الموت أقوى من كلّ نفس فهو ضيف غير مرحّب به يأتيك غرّة ويسلب منك أغلى ما تملك ولن تستطيع فعل شيء غير النواح والبكاء والتمزقّ من الألم.

لما كان أبو فراس أسيرا في سجن الرّوم حلّت به مصيبة عظيمة ألا وهي موت أمه، فرثاها بقصيدة مؤثرة جدا يقول في أولها:[1]

أَيـــــــا أُمَّ الأَســـــــيرِ سَـــــــقاكِ غَيـــــــثٌ
بِكُـــــــرهٍ مِنـــــــكِ مـــــــا لَقِـــــــيَ الأَســـــــيرُ
أَيـــــــا أُمَّ الأَســـــــيرِ سَـــــــقاكِ غَيـــــــثٌ
تَحَيَّـــــــــرَ لايُقـــــــــيمُ وَلا يَســـــــــيرُ
أَيـــــــا أُمَّ الأَســـــــيرِ سَـــــــقاكِ غَيـــــــثٌ
إِلـــــــى مَـــــــن بِالفِـــــــدا يَـــــــأتي البَشـــــــيرُ
أَيـــــــا أُمَّ الأَســـــــيرِ لِمَـــــــن تُزَيّـــــــى
وَقَـــــــد مُـــــــتِّ الـــــــذَوائِبَ وَالشُـــــــعورُ

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص162.

إن قلب أبا فراس يتقطّع من الألم والحزن الذي ألمّ به، فقدْ فقدَ السّند والرّكن الذّي كان يركن إليه، إن كلمات القصيدة تقطر بالحزن والأسى على فقدان الحضن الدّافئ والحنان المتدفّق" ثم يدعو الدنيا أن تبكيها... وكان يتألم لأنه يشعر بأن في نفسها أسرارا كثيرة دفنت معها، ويحزن أكثر لأنه لم يعد لديه من يشكو له همه... قال ما قاله من شعر والبكاء يجرح قلبه وفؤاده ويجعله ضعيفا، فما كان إلا أن بثّ أشجانه وعواطفه بشعره الذي قاله من وراء القضبان، فهو لا يملك غير هذا"[1].

لكن بعض النقاد الدّارسين وصفوا رثاء أبي فراس بالضّعف والسّطحيّة وهذا ما نجده وارداً في قول فوزي عيسى:" إننا نستغرب أن يكون رثاء أبي فراس لأمه بهذه الدّرجة من الضّعف والسّطحيّة والنّثريّة... عاطفة الرّثاء ليست بالدّرجة القويّة الموقّعة"[2]. فالرّثاء عند أبي فراس كما وصفه أحد الدّارسين" بعيد عن تلك القوّة العاطفيّة التي تهزّ الأعماق، هو رثاء الضّعف أكثر ممّا هو رثاء القوّة وهو رثاء اللين أكثر ما هو رثاء الشدّة وهو رثاء التّرديد والتّكرير والمناداة أكثر ممّا هو رثاء الفيض الوجداني، ورثاء السّطحيّة أكثر ممّا هو رثاء العمق"[3].

وعلى العموم فقد تكون شدّة الانفعال والتّأثّر قد دفعت أبا فراس إلى التّسرّع والعجلة، فنثر كلماته وعباراته على حساب التجويد الفنّي والصّياغة المحكمة.

ينبغي الإشارة إلى أن هناك أغراضا أخرى أجاد فيها القول أبو فراس الحمداني مثل: الشّكوى والعتاب والزّهد والحكمة والشّعر التعليمي. كل تلك الأغراض سنفصل فيها القول في الفصل التطبيقي لعلاقتها الكبرى بالثنائيات الضدية موضوع دراستنا.

[1]– شوقي المعرّي، أبو فراس الحمداني، ص52.

[2]– فوزي عيسى، اتجاهات جديدة في شعر القرنين الثالث والرابع الهجريين، ص100.

[3]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص828.

الفصل الثاني

الثنائيات الضدية ودلالتها

أولا؛ ثنائية القلم والسيف

ثانيا؛ ثنائية الحرية والسجن

ثالثا؛ ثنائية الانتصار والانكسار

رابعا؛ ثنائية الوفاء والغدر

خامسا؛ ثنائية الأمل واليأس

سادسا؛ ثنائية المدح والهجاء

سابعا؛ ثنائية الحياة والموت

ثامنا؛ ثنائية الحقيقي والمتخيل

يتضمن النص الأدبي لأبي فراس الحمداني ثنائيات شتى تولدت نتيجة تجارب شعرية مختلفة، استوحاها الشاعر من حياته الثرية بالمفاجآت والأحداث الكبرى، غير أن ثنائية (القلم والسيف) تعد الثنائية الأساسية التي تولدت عنها باقي الثنائيات (الانتصار والانكسار) (الوفاء والغدر) (الأمل واليأس) (العتاب والاستعطاف) (الحقيقي والمتخيل) (الحياة والموت).

تعد ثنائية (الحرية والسجن) همزة وصل بين ثنائية (القلم والسيف) وباقي الثنائيات، ويمكن أن نوضح ذلك بهذا المخطط الذي سيبسط لنا طريقة تناولنا لأهم الثنائيات التي وردت في شعر أبي فراس.

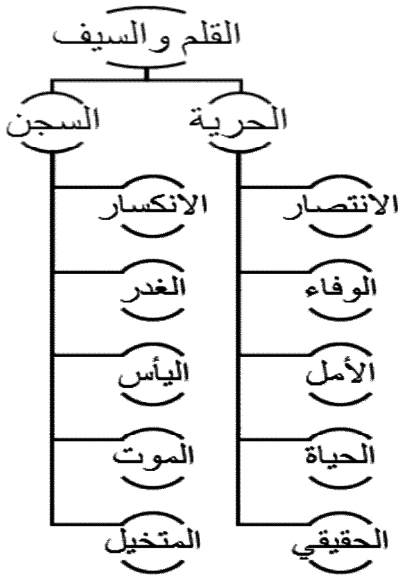

وتجدر الإشارة إلى وجود تداخل وترابط بين هذه الثنائيات، وهذا راجع إلى طبيعة الكون المبني على التقابل والتوازي بين طرفين مختلفين بصفة عامة وماهية النفس البشرية المتقبلة بين عواطف وأحاسيس متباينة ومتقاربة بصفة خاصة، ولعل تجربة أبي فراس الحياتية جعلته يلوج في خضم هذه العواطف ويغوص في أعماقها، فعبر عنها في شعره الذي نتلمس فيه هذا الصراع الذي رافق الإنسان منذ أن خلق وسيبقى مرافقا له إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

أولا؛ ثنائية القلم والسيف:

لأبي فراس ميزة خاصة من النادر إيجادها في شعراء زمانه أو العصر الحديث ألا وهي: الفعل طبقا لما جاء في القول، أي ما ينطق به لسانه تجسده أفعاله. كان أبو فراس شاعرا بارعا ذاع صوته بين الناس وتجاوزت قصائده أعناق الأعصر وكتبت لنفسها الخلود، كما كان فارسا مغوارا وبطولاته ومعاركه تشهد له عن ذلك بل وأعداؤه كذلك.

إن ثنائية القلم والسيف تكشف لنا عن تلك الشخصية الفذة المتطلعة إلى الحياة بعزة وكرامة وشرف؛ وذلك الرجل الذي لا يخشى الموت بل يواجهه بكل شجاعة وإقدام. إن الأنامل التي سطرت كلمات من الشعر الصادق الحساس المؤثر الذي يلامس الروح ويأسر الفؤاد؛ هي نفسها تلك الأنامل التي أمسكت الحسام بكل قوة وراحت تقاتل العدو وتتكّل به رافعة راية الإسلام بكل فخر وعزّ يقول[1]:

وَصِـــــــناعَتي ضَـــــــربُ السُـــــــيوفِ وَإِنَّنـــــــي
مُتَعَـــــــرِّضٌ فـــــــي الشِـــــــعرِ بِالشُـــــــعَراءِ

نجد ثنائية القلم والسيف متجسدة في هذا البيت الشعري بشكل ظاهر، فأبو فراس كان فارس عصره، قضى حياته بين الطواحين يواجه الموت بصدره ولسانه مفعم بالشّعر الحماسيّ فكانت كلماته أشد وقعاً على عدوّه من سيفه. رغم أن الأسر قد لحق أبا فراس إلا أن هذا لم ينقص عزيمته وشجاعته وبأسه؛ ولم يفقد ريشته كلماتها وحروفها، بل ظلت تحارب العدو في عقر داره، فقد بقيت روحه متأهبة لقتال الأعداء. يقول مخاطبا سيف الدولة[2]:

جَنـــــانِيَ مـــــا عَلِمـــــتَ وَلـــــي لِســـــانٌ
يَقُـــــدُّ الـــــدَرعَ وَالإِنســـــانَ عَضـــــبُ
وَزَنـــــدي وَهـــــوَ زَنـــــدُكَ لَـــــيسَ يَكبـــــو
وَنـــــاري وَهـــــيَ نـــــارُكَ لَـــــيسَ تَخبـــــو

[1]- أبو فراس الحمداني، الديوان، ص13.

[2]- نفسه، ص31.

نجد أن ثنائية القلم والسيف ترافق أبا فراس حتى في أحلك أيامه، وهذا يظهر لنا من خلال هذين البيتين الشعريين، رغم كونه أسيرا في بلاد الروم إلا أن روحه ما زالت تتوق لساحات القتال وخوض المعارك ضد العدو؛ ومازال قلبه على العهد أينما حل فهو الرّجل الوفيّ الذّي يضحّي بنفسه في سبيل وطنه.

وله لسان لا يشقُّ له غبار، كلماته كطعنات القنا وضربات السيوف، يكفيه فخرا أنه سخر من الرّوم وجها لوجه وهو الأسير عندهم، فقد سخر من الدمستق سخرية شديدة إثر تجرأ هذا الأخير على الاستهزاء بالعرب والحطّ من شأنهم؛ فردّ عليه أبو فراس ردّا أفحمه وأسكته[1]:

جَنـــــانِيَ مـــــا عَلِمـــــتَ وَلـــــي لِســـــانٌ
يَقُـــــدُّ الـــــدَرعَ وَالإنســـــانَ عَضـــــبُ
وَزَنـــــدي وَهـــــوَ زَنـــــدُكَ لَـــــيسَ يَكبـــــو
وَنـــــاري وَهـــــيَ نـــــارُكَ لَـــــيسَ تَخبـــــو

انظر لغزل أبي فراس ولاحظ كيف ألبس كلمات الغزل رداء الحرب، ورسم لنا صورة المحبوبة التي تقتل من يحبها بنظرة من عيونها وكلمة تنطق بها شفاهها مستعيرا قاموس الفروسية، ومتأثرا به حتى في تعامله مع المرأة، يقول[2]:

هَوانـــــا غَريـــــبٌ شُـــــزَّبُ الخَيـــــلِ وَالقَنـــــا
لَنـــــا كُتُـــــبٌ وَالبـــــاتِراتُ رَســـــائِلُ
أَغَـــــرنَ عَلـــــى قَلبـــــي بِخَيـــــلٍ مِـــــنَ الهَـــــوى
فَطـــــارَدَ عَـــــنهُنَّ الغَـــــزالُ المُغـــــازِلُ
بِأَســـــهُمِ لَفـــــظٍ لَـــــم تُرَكَّـــــب نِصـــــالُها
وَأَســـــيافِ لَحـــــظٍ مـــــا جَلَتهـــــا الصَـــــياقِلُ

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص42.

[2]– نفسه، ص215.

وَقـــــــائِعُ قَتلـــــــى الحُـــــــبِّ فيهـــــــا كَثيـــــــرَةٌ
وَلَـــــــم يَشـــــــتَهِر سَـــــــيفٌ وَلا هُـــــــزَّ ذابِـــــــلُ

إنها صورة مفعمة بالخيال، حيث ألبس الشاعر المرأة التي يتغزل بها لباس المحارب المجهز بشتّى الأدوات الحربية (الخيل، القنا، السهام، الأسياف...) وجعلها الظافرة بالمعركة لأنها تمكنت من الإيقاع بالمحبوب واغتياله بجمالها المبهر وكلامها المؤثر، وهذه الأبيات تعكس لنا تأثر أبي فراس بحياته التي قضاها يجول ويصول في ساحات المعارك والحروب موظفا فيها شعر الآلات الحربية.

بل إنه لمن المبهر أن يوظف مثل هذه الأدوات في غرض الغزل الذي يقتضي توظيف الألفاظ الرقيقة العذبة والتعبير عن الحب بحس مرهف، فقد تمكن الشاعر من التأثير على المتلقي. من خلال توظيف هذه الآلية العجيبة في غرض شعريّ مثل الغزل وهذا دليل على براعته وتمكنه من الشعر.

ويشهد أبو فراس لنفسه بالفروسية والشجاعة والإقدام؛ فهو الفارس الذي لا يجاريه أحد في ساحة القتال والشاعر الفحل الذي يفحم غيره أمامه؛ لكن هذا الفارس الأمير يضعف أمام الحب والهوى حيث نجده يقول[1]:

وَإِنّـــــــــي لَمِقـــــــــدامٌ وَعِنـــــــــدَكِ هائِـــــــــبٌ
وَفـــــــي الحَـــــــيِّ سَـــــــحبانٌ وَعِنـــــــدَكِ باقِـــــــلُ

نلاحظ أن ثنائية القلم والسيف تخضع لجبروت الهوى وسلطان العشق من خلال هذا البيت، فقوة الشاعر تضعف أمام محبوبته وكلماته تضل طريقها وتتبعثر أمام جمالها بالرغم من كونه أشجع الفرسان وأبرع الشعراء. لطالما رافق السيف شعر أبا فراس فجسد ما نطق به لسانه، بل إن ثنائية القلم والسيف سارت في خط مواز طوال حياة أبي فراس. يقول مفتخرا[2]:

إذا صُـــــلتُ يَومـــــاً لَـــــم أَجِـــــد لـــــي مُصـــــاوِلاً

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص216.

[2]– نفسه، ص217.

وَإِن قُلـــــتُ قَـــــولاً لَـــــم أَجِـــــد مَـــــن يُقـــــاوِلُ

يصرح أبو فراس بتفوقه على غيره في خوض الخطوب والمعارك حامية الوطيس، كما يشهد لنفسه بالبراعة في قول الشاعر وإفحام الخصوم فهو فارس اللسان والسنان الذي لم يستطع أحد أن يجاريه، وتظل ثنائية السيف والقلم تسير جنبا إلى جنب طوال حياة هذا البطل المغوار الذي لا يستطيع أن ينكر فضله أحد أو أن ينسى بطولاته وأخلاقه ومواقفه امرؤ عربي.

ثانيا؛ ثنائية الحرية والسجن:

تشكل هذه الثنائية إطارا يحوي ثنائيات أخرى تتقاطع وتتداخل فيما بينها، وهذه الثنائية المتضادة أنتجت لنا أشعارا من أروع ما جادت به قرائح الشعراء، فالحرية تبرز لنا رونق الحياة وبهجتها بينما يمثّل السجن فناء الحياة واندثار معالمها، وأبو فراس الحمداني عاش في كنف هذه الثنائية العجيبة بكل تفاصيلها وعبر عن العواطف والانفعالات التي تنجرّ عن كل حالة (الحرية والسجن).

فلما كان يعيش في بلاط سيف الدّولة حرا طليقا اصطبغت أشعاره بالفخر والإشادة بالنسب وبطولات بني حمدان، وشعره حافل بالفخر حيث "تسيطر النّزعة الحربيّة على قسم كبير من شعر أبي فراس كما تسيطر نزعة الفخر والتمدّح"[1]. يقول مفتخرا بقومه:[2]

اِطرَحـــــــــــوا الأَمـــــــــــرَ إِلَينـــــــــــا
وَاِحمِلـــــــــــوا الكُـــــــــــلَّ عَلَينـــــــــــا
إِنَّنـــــــــــا قَـــــــــــومٌ إِذا مـــــــــــا
صَـــــــــــعُبَ الأَمـــــــــــرُ كَفَينـــــــــــا
وَإِذا مـــــــــــا ريـــــــــــمَ مِنّـــــــــــا
مَـــــــــــوطِنُ الـــــــــــذُلِّ أَبَينـــــــــــا
وَإِذا مـــــــــــا هَـــــــــــدَمَ العِـــــــــــز
بَنـــــــــــو العِـــــــــــزِّ بَنَينـــــــــــا

نجد أبا فراس يشيد ببطولات قومه ويفخر بهم ويرفع من شأنهم ويفضّلهم على غيرهم من الأقوام الأخرى، فهم لا يرضون العيش في ذلّ وهوان بل يسعون للمجد والموت. لقد قضى أبو فراس حياته القصيرة يجول ويصول في المعارك، يقاتل أعداء الله ويتصدّى لهجوماتهم وهذا ما زرع الرّعب في قلوبهم. ويقول مفتخرا بالحمدانيين[3]:

---

[1]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص819.

[2]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص296.

[3]– نفسه، ص269.

لَنـــــــا بَيـــــــتٌ عَلـــــــى عُنُـــــــقِ الثُرَيّـــــــا
بَعيـــــــدُ مَـــــــذاهِبِ الأَطنـــــــابِ ســـــــامِ
تُظَلِّلُـــــــــــهُ الفَـــــــــــوارِسُ بِـــــــــــالعَوالي
وَتَفرِشُـــــــــــهُ الوَلائِـــــــــــدُ بِالطَعـــــــــــامِ

إن الشجاعة تبني بيوت العزّ والسؤدد، فقد عرف الحمدانيون بشدّة بؤسهم وقوة شوكتهم وكثرة فضائلهم، وهذا ما أورثهم مجدا وعزا تشتهيه كل أمّة. نجد السّجن يقف حائلا بين أبي فراس وساحات القتال، فيحطّم طموحه ويفسد مخطّطاته، حيث أصبح الألم مرافقا له فاتّخَذَ من "التغني بالألم ذريعة لتفريج الكُربة..

وهو يسلك في ألمه طُرُقاً متنوعة فيلجأ تارة إلى رحمة الله، ويفزع طوراً إلى اعتبارات عامّة في نكبات الدّهر، التي ترهق كاهل كلّ إنسان، وفي زوال الدّنيا، وتراه أحيانا يعتمد إلى الذّكريات، فيستحضر أيّامه السالفة، فيفخر بها ويتلو آياتها على نفسه علّه ينسى بعض ما به"[1]. ورومياّت أبي فراس حافلة بالألم والحزن، وفيها نلمح شخصيّة الشّاعر الأمير الممزّقة المغلوبة على أمرها، يقول في إحدى القصائد، يصف آلامه وجراحه:[2]

مُصـــــــــابي جَليـــــــــلٌ وَالعَـــــــــزاءُ جَميـــــــــلُ
وَظَنّـــــــي بِـــــــأَنَّ اللَـــــــهَ سَـــــــوفَ يُـــــــديلُ
جِـــــــراحٌ تَحاماهـــــــا الأُســـــــاةُ مَخوفَـــــــةٌ
وَسُـــــــقمانِ بـــــــادٍ مِنهُمـــــــا وَدَخيـــــــلُ

وتجدر الإشارة إلى أنّ أبا فراس كان يفخر بنفسه وقومه حتّى أيّام أسره، وبقي على ولائه لابن عمّه، وقصيدته "أراك عصيّ الدّمع" أنصع دليل على هذا، وفيها تبرز صفات الرّجل العربي الشّهم الذّي يأبى الضّيم ويسعى للحياة بعزّة ونخوة ومروءة.

[1]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص823.

[2]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص232.

ثالثا؛ ثنائية الانتصار والانكسار:

إن التبدل والتغير من سنن الكون فدوام الحال من المحال، إن حياة المرء تتأرجح بين الضحكات والعبرات فالفرح والحزن حالتان ملازمتان لأي إنسان؛ رغم اختلاف القدر الذي يتحصل عليه من التعاسة أو السعادة، عندما يحقق الإنسان ما يصبو إليه فإنه يشعر بنشوة الانتصار بغض النظر عن حجمه، أما حينما يخفق في تحقيق مراده تسيطر عليه حالة حزن ينجر عنها انكسار وألم.

وتظل ثنائية الانتصار والانكسار تسير في خط موازٍ للحياة على الرغم من سعي الإنسان الدائم للحصول على السعادة.

عاش أبو فراس في ظل هذه الثنائية العجيبة (ثنائية الفرح والحزن)، فقد تذوق الحياة بحلاوتها ومرارتها، بابتسامتها وعبراتها إذ نجده يعبر عن هذا بقوله[1]:

وَلَججـــــــتُ فـــــــي حُلـــــــوِ الزَمـــــــانِ وَمُـــــــرِّهِ
وَأَنفَقـــــــتُ مِـــــــن عُمـــــــري بِغَيـــــــرِ حِســـــــابِ

لقد خاض الفارس الأمير الحياة بجانبيها المؤلم والمفرح، وعبر عن ذلك من خلال توظيف ثنائية ضدية تتمثل في لفظتي (حلو ومر) حيث أكد لنا على خبرته في الحياة واستخلاصه العبر والحكم من خلال تجاربه الحياتية، بالرغم من أنه عاش مدة قصيرة إلا أننا يمكن أن نعد شعره مدرسة قائمة في حد ذاتها، فأقواله كالدرر والجواهر فهي تكشف عن رجل عالم عارف قل نظيره.

وعلى العموم فإن حياة أبي فراس كانت ممزوجة بين الفرح والحزن، رغم احتلال هذا الأخير مكانا أكثر من نظيره، فقد كان له نصيب من الانتصارات والنجاحات ونصيب آخر من الانتكاسات والعثرات. قد سبق وأشرنا إلى تلك الحياة التي نشأ فيها أبو فراس، حيث ترعرع في ظل القصر الحمداني وكان يرافق سيف الدولة إلى الحروب والمعارك، فيلحق الخسائر المريرة بالأعداء ويحقق الانتصارات والبطولات التي صنعت مجد الحمدانيين، ومن

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص33.

الطبيعي أن يصطبغ شعره بنزعة الفخر والتغني بالأمجاد والأبطال حيث راح لسانه ينطق برائع الشعر المتوهج بالحماسة، وقد افتخر أبو فراس بقومه وأصله فلم يكن الفخر حكرا عليه هو وحده بل كان الحس الجمعي يطغى على شعره،يقول مفتخرا بنفسه وقومه[1]:

إنّـــــــــــا إذا اِشـــــــــــتَدَّ الزَمـــــــــــا
نُ وَنـــــــــــابَ خَطـــــــــــبٌ وَادلَهَـــــــــــم
أَلفَيـــــــــــتَ حَـــــــــــولَ بُيوتِنـــــــــــا
عَـــــــــــدَدَ الشَـــــــــــجاعَةِ وَالكَـــــــــــرَم
لِلقـــــــــــا العِـــــــــــدى بـــــــــــيضُ السُـــــــــــيو
فِ وَلِلنَـــــــــــدى حُمـــــــــــرُ الـــــــــــنَعَم
هَـــــــــــذا وَهَـــــــــــذا دَأبُنـــــــــــا
يـــــــــــودى دَمٌ وَيُـــــــــــراقُ دَم

نلاحظ علوّ نبرة الفخر في هذه الأبيات والاعتزاز بالدولة الحمدانية، فكلمات الشاعر تنبض فخرا وحماسة وتعبر عن المجد والسؤدد الذي يحيا في ظله بنو حمدان، فهم مأوى الضعيف وملاذ المظلوم وأسود الحرب،فأغمدتهم مشتاقة إلى السيوف، والقنا متعطشة لدماء الأعداء، والأجساد تشيّع نفسها أمام الموت بشرف وعزة، إنه نهج الحمدانيين في الحياة فإما عيش بعزّ وكرامة وإما موت بشرف.

إن الحرب تسري في دم أبي فراس وكأنه خلق من أجلها، وكأن السيف استحال إلى عضو من أعضاء جسده، وأضحى الرمح نديمه الذي لا يفارقه، يقول واصفا الحرب بعد أن شفي من سهم أصابه وكان سببا في أسره[2]:

فَـــــــلا تَصِـــــــفَنَّ الحَـــــــربَ عِنـــــــدي فَإِنَّهـــــــا
طَعـــــــامِيَ مُـــــــذ بِعـــــــتُ الصِـــــــبا وَشَـــــــرابي

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص254.

[2]–نفسه، ص33.

إنها نبرة الفخر المتعالية وصدى الروح المتوهجة رغم الألم إلا أن شجاعة أبي فراس بقيت في عز شبابها.

حين أسر الروم أبا فراس اقتادوه إلى خرشنة، كان أبو فراس متجلدا صبورا وتحدّاهم في عقر دارهم، حيث يقول ساخرا من خرشنة مذكرا إياها بالأيام التي أرهقها فيها[1]:

إن زُرتُ خَرشَـــــــــــــــــــنَةً أَســـــــــــــــــيرا
فَلَكَـــــــــــم أَحَطـــــــــــتُ بِهـــــــــا مُغيـــــــــرا
إِن طـــــــــــــالَ لَيلـــــــــــــي فـــــــــــي ذُرا
كَ فَقَـــــــــد نَعِمـــــــــتُ بِـــــــــهِ قَصـــــــــيرا
وَلَـــــــــــئِن لَقيـــــــــتُ الحُـــــــــزنَ فـــــــــي
كِ فَقَـــــــــد لَقيـــــــــتُ بِـــــــــكِ السُـــــــــرورا

نجد الثنائيات الضدية واقعة في لفظتي (الأسير والمغير –الإغارة تقتضي أن يكون الإنسان حرا–) وبين لفظتي (طال وقصير) وبين لفظتي (الحزن والسرور)، أصبح أبو فراس أسيرا في خرشنة لكنه كثيرا ما كان يهاجمها فيشعل النار في منازلها وقصورها، ويسبي نسائها، ورغم وقوعه في الأسر إلا أننا نلاحظ علوّ حدة صوت الفخر فكلماته أشد وقعا على عدوه من سيفه.

يخاطب أبو فراس خرشنة مفتخرا بأعماله البطولية ومتحديا أعداءه الروم في مسرح دارهم، فيقول لها: إذا طال ليلي فيك من الأسر والحزن، فلا تنسي أنه قصر حينما كنت أتمتع بالملذات والنعيم فيك، وإن لقيت منك الحزن والبلاء فقد كنت بالأمس فرحا مسرورا بتنكيلي بك.

من هنا يمكننا تخيّل صورة أبي فراس بين العدو، إنه الرجل الصنديد الذي يعيش بعزة نفس، ورباطة جأش، وشماخة رأس، وشدة بأس، حتى ولو كان يواجه أحلك الظروف، وإن وقف أمام الموت وجها لوجه، فالموت بعزة أهون بكثير من حياة الذل عند هذا الفارس

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص155.

الأمير. إنها كلمات لرجل أسير كثيرا ما أفقد المنتصر لذة الانتصار وأشعره بالخزي والعار فتحوّل الأسير لمنتصر واستحال الغالب لمنكسر. ونجد أبا فراس يصف حالة أسره عند الرّوم بقوله[1]:

إذا عـــــــايَنَتني الـــــــــرومُ كَفَّـــــــــرَ صَـــــــــيدُها
كَـــــــأَنَّهُمُ أَســـــــرى لَـــــــدَيَّ وَفـــــــي كَبلـــــــي
وَأَوسَـــــــعُ أَيّـــــــاً مـــــــا حَلَلـــــــتُ كَرامَـــــــةً
كَـــــــأَنِّيَ مِـــــــن أَهلـــــــي نُقِلـــــــتُ إِلـــــــى أَهلـــــــي
فَقُـــــــل لِبَنـــــــي عَمّـــــــي وَأَبلِـــــــغ بَنـــــــي أَبـــــــي
بِـــــــأَنِّيَ فـــــــي نَعمـــــــاءَ يَشـــــــكُرُها مِثلـــــــي

يبدو أبو فراس متجلدا، وهذا ربما يرجع إلى عدم توقعه أن يؤسر مدة طويلة، بل إنه يرى في أسره نعيما وشيئا عارضا لا يؤثر فيه إنجازاته.

من خلال القراءة المتفحصة لهذه الأبيات يتبيّن لنا وجود ثنائية (الانتصار والانكسار) فالشاعر يعيش حالة من الفخر والعز، فبالرغم من كونه أسيرا إلا أنه يرى أن عدوه هو من وقع عليه الأسر، حيث نجده يصف حالة النعيم التي يحيا في ظلّها ويطمئن أهله على سلامته وراحته في بلاد الروم.

لكن صوت الفخر الحاد أصيب بشيء من الوهن واليأس مع مضي الأيام وتواليها، نظرا لما قاساه أبو فراس من ألم وشوق وغدر وخذلان.

تتالت الأيام والأشهر والسنين وأبو فراس في سجن الروم يتجرع مرارة السجن ولوعة الشوق، وبدأ صوت الأنين والألم يظهر في شعره بنبرة متألمة متأوّهة من غدر الدّهر وتولي الأصحاب وهجر الأحباب، فأصبحت روحه أسيرة وحيدة لا تجد من يجبر بخاطرها ويداوي جراحها. يقول واصفا غدر الأصحاب وتقلّب الدّهر[2]:

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص237.

[2]– نفسه، ص232.

تَناســـــــــــانِيَ الأَصـــــــــــحابُ إِلّا عُصَـــــــــــيبَةً
سَـــــــــتَلحَقُ بِـــــــــالأُخرى غَـــــــــداً وَتَحـــــــــولُ
وَمَـــــن ذا الَّـــــذي يَبقـــــى عَلـــــى العَهـــــدِ إِنَّهُـــــم
وَإِن كَثُـــــــــــرَت دَعـــــــــــواهُمُ لَقَليـــــــــــلُ
أُقَلِّـــــــبُ طَرفـــــــي لا أَرى غَيـــــــرَ صـــــــاحِبٍ
يَميـــــــلُ مَـــــــعَ النَعمـــــــاءِ حَيـــــــثُ تَميـــــــلُ
أَكُـــــــلُّ خَليـــــــلٍ هَكَـــــــذا غَيـــــــرُ مُنصِـــــــفٍ
وَكُـــــــلُّ زَمـــــــانٍ بِـــــــالكِرامِ بَخيـــــــلُ

لقد وظف أبو فراس في هذه الأبيات الثنائية الضدية بشقّيها الظّاهر والمضمر، أما الظاهر فقد تمثل في كل من لفظتي (كثر وقليل) (الكرم والبخل)، وأما المضمر فقد جاء بمعنى مؤلم عن الحياة وقسوتها، فالمرء الوفي جزاؤه الخذلان والغدر، والصّاحب لا يؤتمن، فمنه يأتيك الوجع، بل إن المتارك محسن في هذا الزمن.

تناسى الناس هذا البطل المغوار، وقد قال "تناساني" وليس نسي لأنه لا يمكن أن يُنسى رجل مثل أبو فراس فالنسيان هنا تظاهر وتصنّع. لم يبق مع أبي فراس إلا بعض الأصحاب وقد وظف صيغة "عصيبة" دلالة على قلّتهم وندرتهم بل إنه يرى أنهم سيرحلون ويتناسونه كما فعل الآخرون.

يتحسّر أبو فراس على غدر الأصحاب، وتوليّهم عنه، وشحّ الزمن بإعطاء الصّديق المخلص الذي يمسك يد صديقه في السّراء والضّراء.

استعمل أبو فراس الثنائيات الضدية الظّاهر منها والمضمر –كما سبقت الإشارة– ليوضح لنا مدى قساوة الحياة ومرارتها، فالصاحب المخلص نادر في هذا الزمن، ففي الأوقات العصيبة تسقط الأقنعة الزائفة وينقلب الحمل الوديع لذئب ضالّ، فالناس تميل مع النعماء حيث تميل، فالشاعر متألم من سقوط أقنعة أصحابه التي كان يظن أنها وجوه حقيقية، لقد كشفت له الحياة عن حقيقتهم بقسوة جعلت فؤاده مكسورا.

امتحن أبو فراس بامتحان صعب وعسير، وليس هناك أقسى من أن يفقد المرء حريته فما بالك بفارس قضى حياته بين الأعنة والأسنة، يحارب الأعداء ويزرع الرعب في قلوبهم ويدق السيف فيهم دقا، ليجد نفسه في ديار غريبة بعيد عن الأهل والأحباب قوبل عطاؤه بالجحود ونكران الجميل فكان طبيعيا أن يعبر عن ألمه وانكسار قلبه بشعر يقطر ألما وأسى، فيقول[1]:

إذا اللَيـــــلُ أَضـــــواني بَسَـــــطتُ يَـــــدَ الهَـــــوى

وَأَذلَلـــــــتُ دَمعـــــــاً مِـــــن خَلائِقِـــــهِ الكِبـــــرُ

تَكـــــادُ تُضـــــيءُ النـــــارُ بَـــــينَ جَـــــوانِحي

إِذا هِـــــيَ أَذكَتهـــــا الصَـــــبابَةُ وَالفِكـــــرُ

إن في البعد عن الوطن إثارة للواعج الشوق و أوتار الوجدان، وهذا الإحساس المؤلم يكون مضاعفا في حالة الأسر فالمغترب يستطيع العودة لكن الأسير ليس بيده حيلة فهو جاهل بمصيره لا يدري متى يفك أسره، فتكون عاطفة الحزن لديه أقوى وأصدق فما بالك بشاعر مرهف الحس كأبي فراس، فدموعه تنهمر انهمارا إذا ما أقبل الليل، و فؤاده يستعر استعارا من شدة الألم والأنين.

وقد وظف أبو فراس ثنائية ضدية تمثلت في لفظتي (الذل والكبر) ليعبر عن ذلك الكيان الذي يعيشه في النهار، لكنه ينهار في الليل ليكشف عن روح قطعها الاشتياق وصدمتها ردة فعل من كانت تظنه سندا وعضدا. كان أبو فراس طموحا بلا حدود لكن محنة الأسر كانت ضربة موجعة وجهت له، فالفارس الأمير حزّ في قلبه أن وقع في أيدي الروم الذين كان يغزو حصونهم ويمثل بهم ويذيقهم الهزائم المريرة يقول[2]:

ولطالَمـــــــا حَطَّمـــــــتُ صَـــــــدرَ مُثَقَّـــــــفٍ

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص157.

[2]– نفسه، ص303.

وَلَطالَمـــــــا أَرعَفـــــــتُ أَنـــــــفَ سِـــــــنانِ

وَلَطالَمـــــــا قُـــــــدتُ الجِيـــــــادَ إِلـــــــى الـــــــوَغى
قُـــــــبَّ البُطـــــــونِ طَويلَـــــــةَ الأَرســـــــانِ

وَأَنـــــــا الَّـــــــذي مَـــــــلَأَ البَســـــــيطَةَ كُلَّهـــــــا
نـــــــاري وَطَنَّـــــــبَ فـــــــي السَـــــــماءِ دُخـــــــاني
إِن لَـــــــم تَكُـــــــن طالَـــــــت سِـــــــنِيَّ فَـــــــإِنَّ لـــــــي
رَأيَ الكُهـــــــــــولِ وَنَجـــــــــــدَةَ الشُـــــــــــبّانِ

هي أبيات خالدة لأبي فراس الحمداني قالها لما كان أسيرا، وإذا وضعنا هذا الفخر في سياقه الذي قيل فيه لوجدناه أقرب إلى البكائية منه إلى الفخر، إنه رثاء لمجد ضاع وتلاشى وتحسّر على ماضٍ حافلٍ بإنجازات بطولية، إنه بكاء على كيان تهاوى وارتطم بقوة أمام دهر لا يرحم.

إن ثنائية (الانتصار والانكسار) بادية في هذه الأبيات فكلمات الشاعر تقطر بالألم والحسرة، كما نلاحظ حضور الأفعال الماضية بكثرة، وهذا لأجل الاستحضار والتذكر فالفخر هنا بمثابة تعويض عن الانكسار الذي يحيى في ظله الشاعر فقد "تنكر له كل شيء وكان في خلقه شيء من الضعف جعله قليل الجلد دائم الحيرة... تغرورق عيناه كلما تمثل عيشه الماضي"[1].

رغم الأسر الذي لحق بأبي فراس والألم الذي عاشه إلاّ أنّ صورة المحارب بقيت حية في روحه؛ فلم تستطع أيدي الأعداء اغتيالها أو إخماد نارها، فرغم الانكسار يبقى صوت النصر معليا ومدويا يأبى الصمت، يقول مفتخرا[2]:

وَنَحـــــــنُ أُنـــــــاسٌ لا تَوَسُّـــــــطَ عِنـــــــدَنا

[1]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص823.

[2]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص161.

لَنـــــــا الصَـــــــدرُ دونَ العـــــــالَمينَ أَوِ القَبـــــــرُ
تَهـــــــونُ عَلَينـــــــا فـــــــي المَعـــــــالي نُفوسُـــــــنا
وَمَـــــن خَطَـــــبَ الحَســـــناءَ لَـــــم يُغلِهـــــا المَهـــــرُ
أَعَـــــزُّ بَنـــــي الـــــدُنيا وَأَعلـــــى ذَوي العُـــــلا
وَأَكـــــرَمُ مَـــــن فَـــــوقَ التُـــــرابِ وَلا فَخـــــرُ

انظر لحدّة صوت الفخر، وتعرف على الرجل العربي الشجاع الذي تأبى نفسه الذل والهوان؛ فالحياة يجب أن نحياها بعز وشماخة رأس وإلا فلنمت بشرف وكبرياء. وردت ثنائية ضدية ظاهرة تمثلت في لفظتي (تهون ويغلها) لتوضح لنا حياة الرجل الحمداني، وكيف تهون نفسه أمام الرماح والسيوف في سبيل المجد والعيش بكرامة وعز، فهذه الأبيات الشعرية أشبعت معنى ومبنى وحكمة وبهذا كتبت لنفسها الخلود.

إن حالة الانكسار والألم التي عاشها أبو فراس لم تكن حكرا على أسره فقط، فقد كان يراوده هذا الشعور المؤلم أحيانا كثيرة عندما كان حرا لكن هذا الشعور كان أقوى وأصدق في رومياته حيث نجده يقول[1]:

غَريـــــبٌ وَأَهلـــــي حَيـــــثُ مـــــا كـــــانَ نـــــاظِري
وَحيـــــدٌ وَحَـــــولي مِـــــن رِجـــــالي عَصـــــائِبُ

لقد شعر أبو فراس باغتراب نفسي شديد، ففي هذا البيت يرى نفسه غريبا بين أهله، فالوحدة تسيطر عليه رغم تواجد الناس حوله. وقد وظف ثنائية ضدية تمثلت في لفظتي (وحيد وعصائب) للدلالة على عاطفة الإحساس بالضياع والوحدة والغربة، فبالرغم من أن التواجد بين الأهل يعطي شعورا بالأمان والطمأنينة إلا أن أبا فراس تسيطر عليه حالة من النفور، كما أن الحضور بين أبناء دولته –بنو حمدان– يجعله يعيش جوا من التواصل الاجتماعي إلا أن الوحدة ترافقه وكأنه يعيش قطيعة مع مجتمعه.

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص23.

نجد حالة من الشعور بالضعف تسيطر على أبي فراس حين يقف أمام المرأة، فيصف نفسه بذلك العاشق الولهان الذي صار أسيرا لمحبوبته يبيت يرعى النجوم حتى تأفل، تؤرقه الذكريات ويعذبه صدّ المرأة التي يهواها، يقول[1]:

الحُـــــــزنُ مُجتَمِـــــــعٌ وَالصَـــــــبرُ مُفتَـــــــرِقُ
وَالحُـــــــبُّ مُختَلِـــــــفٌ عِنـــــــدي وَمُتَّفِـــــــقُ
وَلـــــــي إذا كُـــــــلَّ عَـــــــينٍ نـــــــامَ صـــــــاحِبُها
عَـــــــينٌ تَحـــــــالَفَ فيهـــــــا الـــــــدَمعُ وَالأَرَقُ
لَـــــــولاكِ يـــــــا ظَبيَـــــــةَ الإنـــــــسِ الَّتـــــــي نَظَـــــــرَت
لَمـــــــا وَصَـــــــلنَ إِلـــــــى مَكروهِـــــــيَ الحَـــــــدَقُ

نلاحظ ورود عدد كبير من الثنائيات الضدية في هذه الأبيات (مجتمع ومفترق) (مختلف ومتفق) (النوم والأرق). إن الشاعر يعيش حالة من الصراع النفسي الذي سببه له الحب فهو حزين معذب الفؤاد، لا يطمئن له جنب ولا تهدأ له نفس فلياليه صابها الأرق وإن كانت المحبوبة نائمة فهو ليس ينام فالدمع منسكب والأرق مرافق والصبر منعدم...

إن ثنائية الفرح والحزن جوهر الحياة، والصراع بينهما باق إلى أن يوارى الإنسان التراب .

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص201.

رابعا؛ ثنائية الوفاء والغدر:

يعتبر الوفاء من أنبل الصفات التي يجب على المرء التحلي بها لأنها زينة الروح، فالوفاء خلق عظيم وفضيلة سامية.

عرف أبو حامد الغزالي الوفاء بقوله: "الوفاء هو الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه"[1].

ويرى الجاحظ أن الوفاء هو: "الصبر على ما يبذله الإنسان من نفسه ويرهنه لسانه به لسانه والخروج مما يضمنه بمقتضى العهد الذي قطعه على نفسه وإن كان مجحفا به فليس يعد وفيا من لم تلحقه بوفائه أذية وإن قلت وكلما أضر به الدخول تحت ما حكم به على نفسه كان ذلك أبلغ في الوفاء"[2]. وإن كان الوفاء فضيلة فإن الغدر رذيلة وخلق ذميم وهو نقيض الوفاء.

الغدر هو "الرجوع عما يبذله الإنسان من نفسه ويضمن الوفاء به وهو خلق مستقبح وإن كان يصاحبه فيه منفعة وهو بالملوك والرؤساء أقبح ولهم أضر"[3]، فالوفاء والغدر متضادان ومتناقضان، فالوفاء من الفضائل والغدر من الرذائل وشتانا بين الفضيلة والرذيلة.

تكاد تسيطر ثنائية الوفاء والغدر على شعر أبي فراس ونخص بالذكر رومياته، وهو الفارس الذي وهب حياته لمجد وطنه؛ فكانت الحرب طعامه وشرابه؛ لأنه لم يتوان لحظة في تلبية نداء الدفاع عن الحمدانيين؛ فكان خير مدافع وأشجع فارس.

لطالما كان الوفاء شيمة أبي فراس لكن الخيانة كانت جزاؤه فلما أسر عند الروم لقي خذلانا من أقرب الناس إليه، حيث ترك في السجن يسقى الألم والغدر بلا حساب وكأنه لم يكن يوما ذلك الحامي لوطنه وذلك البطل المغوار الذي يزرع الرعب في قلب الأعداء فتمزق

---

[1]– أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ج2، ص184.

[2]– الجاحظ عمرو بن بحر، تهذيب الأخلاق، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، (دط)،1990م، ص24.

[3]– نفسه، ص30.

فؤاده ألما وأسى وراح ينظم أشعارا تعبر عن آلامه القاتلة بإحساس مرهف وصادق يحز القلب حزا. يقول[1]:

وَفَيـــــــتُ وَفـــــــي بَعـــــــضِ الوَفـــــــاءِ مَذَلَّـــــــةٌ
لِإنســـــــانَةٍ فـــــــي الحَـــــــيِّ شـــــــيمَتُها الغَـــــــدرُ

نجد الثنائية الضدية واقعة في هذا البيت الشعري (الوفاء–الغدر) يمثل لفظ (الوفاء) الطرف الأول للتضاد في حين يمثل لفظ(الغدر) الطرف الثاني له، وقد وظف الشاعر هذه الثنائية الضدية ليبين لنا مدى الألم الذي لحق به وكيف قوبل وفاؤه بالخذلان والغدر والجحود.

يخاطب أبو فراس ابن عمه سيف الدولة، وقد جاءت القصيدة غزلية ويرجع هذا ربما إلى رغبة الشاعر في استمالة قلب ابن عمه –لأن للغزل سحرا خاصا يجعل القلوب رقيقة مرهفة الحس– حتى يدفع الفدية ويخرجه من الأسر.

وفى أبو فراس لفتاة كسرت بخاطره وجعلته يتجرع المرارة والشوق والألم كان شعارها الغدر ونكران الجميل، بل إنها قللت من شأنه وأنكرته. وهذا ما زاد من هم الشاعر وجعله غائر الجراح. يقول[2]:

تســـــــائلني مـــــــن أنـــــــت؟ وهـــــــي عليمـــــــة
وهـــــــل بفتـــــــى مثلـــــــي علـــــــى حالـــــــه نكـــــــرُ؟

يظهر لنا السياق الضدي من خلال لفظتي (تسائلني وعليمة) فالمخاطب يستفز المتحدث بالشكوى ويدعي الجهل رغم أنه عالم بمن يكون.

فثنائية (العلم والجهل) نقلت لنا دلالة كل منهما، ففي السؤال عن شيء معلوم مكابرة وغرور ومحاولة لطمس الآخر والتقليل من شأنه بل نلاحظ أنها –الفتاة– تتمادى كثيرا في

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص158.

[2]– نفسه، ص158.

استصغار الشاعر فعند حضور جواب السؤال: من أنت؟ تقوم باستفزاز آخر وهو قولها: أيهم؟ فهم كثر، وهذا أحقر درجات الغدر وقد جاءت في سياق هذه الثنائية صيغة مبالغة "كُثُر" بغرض الاستهزاء والغرور.

ويستمر أبو فراس في رسم صورة الحبيبة الماكرة الخائنة ودفاعها المستميت عن نفسها؛ رغم أنها تعلم يقينا أنها هي من أدارت ظهرها وغدرت بمن كان وفيا لها فجعلت من الدهر حجة لبعدها وهجرها إياه[1]:

فَقالَـــــت لَقَـــــد أَزرى بِـــــكَ الـــــدَهرُ بَعـــــدَنا
فَقُلـــــتُ مَعـــــاذَ اللَـــــهِ بَـــــل أَنـــــتِ لا الـــــدَهرُ

إن الدهر كان السبب في البين والبعد؛ هي حجة واهية اخترعتها الماكرة لتبرير رحيلها، في حين كان الهوى باسطا جبروته على قلب أبي فراس لا يستطيع حراكا، وهنا توجد ثنائية ضدية مضمرة تستخلص من خلال السياق ألا وهي: (الرحيل و البقاء) فالفتاة تمثل قطب الرحيل والبعد والصد في حين يمثل أبو فراس البقاء على العهد والوصال والحب، إنه صراع بين العاطفة والكبرياء، فالشوق متقد بين ضلوعه في حين أن المحبوبة مغرورة بلا إحساس ناكرة للجميل.

لقد تيقن أبو فراس أن لأهل العشق والهوى مصيرا واحدا ألا وهو الغدر والخيانة والبعد والصد[2]:

فَأَيقَنـــــــتُ أَن لاعِـــــــزَّ بَعـــــــدي لِعاشِـــــــقٍ
وَأَنَّ يَـــــــدي مِمّـــــــا عَلِقـــــــتُ بِـــــــهِ صِـــــــفرُ

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص158 .

[2]– نفسه، ص158..

من خلال هذا البيت يتبين لنا وجود ثنائية مضمرة وهي انهيار الكبرياء والعز أمام العشق، فالعشق يجلب الذل والدموع، وهذه الثنائية (العز والذل) أضفت على البيت جمالا فنيا، بل إن البيت الشعري صار مثلا يضرب في غدر الأصحاب وتنكر الأحباب.

كان أبو فراس محافظا على حبه مهتما به حريصا عليه في حين كانت محبوبته مضيعة له غير مبالية به يقول[1]:

حَفِظـــــــــتُ وَضَـــــــــيَّعتِ المَـــــــــوَدَّةَ بَينَنـــــــــا
وَأَحسَـــــنَ مِـــــن بَعـــــضِ الوَفـــــاءِ لَـــــكِ العُـــــذرُ

نجد ثنائية ضدية واقعة في لفظتي(حفظت ,ضيعت) إذ وردت بشكل سلبي فالحفاظ عكس التضييع والإهمال وفي هذا غدر ونكران للجميل، فالشاعر كان وفيا للحب الذي كان بينه وبين محبوبته وحافظ عليه في حين كانت عابثة لاهية ضيعت هذا الحب بصدها وإهمالها وغرورها، ومن أخلاق الشاعر الكريمة الصبر وتقبل الإساءة حيث نجد أنه يلتمس لها العذر رغم إجحافها في حقه.

وعلى العموم فقد صور لنا أبو فراس بن عمه بصورة جديدة وآلية مبتكرة، فقد كان الشاعر وفيا للبلاط الحمداني وبطولاته تشهد له بذلك، في حين تركه بن عمه يتخبط في الأسر مدة طويلة لاقى فيها الويلات والآهات وكأن به يقول له ابن عمه هذا جزاء وفائك لي.

لقد عانى أبو فراس من غدر الأحباب وتولي الأصحاب، فقد قوبل وفاؤه بالخذلان والخيانة وهذا ما جعل فؤاده ينزف بشدة في أحيان كثيرة.

يقول عن غدر أحد أصحابه به[2]:

جـــــــازَيتَني بُعـــــــداً بِقُربـــــــي فـــــــي الهَـــــــوى

[1]- أبو فراس الحمداني، الديوان، ص157.

[2]- نفسه، ص11.

وَمَنَحتَنـــــــــي غَـــــــــدراً بِحُســـــــــنِ وَفـــــــــائي

نلاحظ وجود ثنائية ضدية تتمثل في لفظتي (البعد والقرب) ولفظتي (الغدر و الوفاء) فرغم الاهتمام الذي يبذله أبو فراس من أجل صديقه وحسن معاملته له إلا أن الجفاء جزاؤه والغدر نصيبه، ومن هنا يمكن لنا تصور هذه الذات المتألمة والمتأوهة تلمس جراحه الغائرة التي لا تندمل فروح الشاعر تجرعت الغدر مرارا وتكرارا وسقيت الخذلان بغير حساب.

كثيرا ما سقي الشاعر الأمير أبو فراس من كأس الغدر حتى ارتوى واستنزفت مشاعره وقواه بطريقة بشعة يندى لها الجبين ولما علم أبو فراس تنكر الحبيب وغدره زجر نفسه عن الوفاء لمن لا وفاء له إذ نجده يقول[1]:

الآنَ حـــــــــــــــــينَ عَرَفـــــــــــــــــتُ رُشـ

ـدي وَاِغتَـــــــــــــــدَيتُ عَلـــــــــــــــى حَـــــــــــــــذَر

نجد ثنائية الوفاء والغدر تطل برأسها مرة أخرى ونرى هذه المرة صحوة أبا فراس من غيبوبته لما رآه من جفاء المحبوب فقرر ألا يصدقه مرة أخرى وألا يفي له أبدا، وفي هذا إعلان عن ثورة نفسية بحيث يعطي أبو فراس لنفسه شخصية جديدة بأسلوب جديد يبدو فيه من القوة الشيء الكثير لكن كلماته القوية لا تستطيع أن تخفي إحساسه المرهف وجراحه الدامية، إن الشاعر يتخبط في صراع نفسيّ رهيب بين الجفاء والوفاء.

ومن القصائد التي جاءت في سياق الثنائيات الضدية قصيدة بعنوان "أعظم ذنبه في عذره" وقد حملت ثنائية ضدية عن الوفاء والغدر، وتكاد تسيطر هذه الثنائية على نص القصيدة، حيث نجد أبا فراس دائما مظلوما مغدورا مكسورا بينما نجد الطرف الآخر ظالما غدارا نكارا يقول أبو فراس الحمداني مشيرا إلى مفارقة أخيه له[2]:

أَضـــــــــــمَرتُ حُبَّـــــــــــكَ وَالـــــــــــدُموعُ تُذيعُـــــــــــهُ

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص123.

[2]– نفسه، ص142.

وَطَوَيـــــــتُ وَجـــــدَكَ وَالهَـــــوى فـــــــي نَشـــــرِهِ
أَعيـــــــــا عَلَـــــــــيَّ أَخٌ وَثِقـــــــــتُ بِـــــــــوُدِّهِ
وَأَمِنـــــــتُ فـــــــي الحـــــالاتِ عُقبـــــــى غَـــــــدرِهِ

نلاحظ تجسد الثنائية الضدية الفعلية السلبية بين (الإضمار والذيوع) و(الطي والنشر) و(الثقة والغدر)، إنها ألفاظ وتراكيب جاءت في سياق ضدي لتبين لنا الحالة النفسية المزرية والصراع الداخلي المضطرب الذي يعيشه الشاعر؛ حيث نجد أنه يجاهد نفسه لإخفاء حبه ومودته لكن دموعه وعبراته تفضحه، ويحارب فؤاده لطي شوق رعى كبده لكن الهوى يمنعه من ذلك، ثم نجده يشتكي غدر الأخ وتوليه عنه رغم أن الشاعر كان يثق به ثقه عمياء جعلت قلبي ينزف في النهاية ألما وندما فقد قوبلت هذه الثقة بالخذلان.

ويستكمل أبو فراس حديثه عن أخيه وخذلانه له فنراه يشتكي من طول صبره وانعدام حيلته فيقول[1]:

فَصَـــــــــبَرتُ لَـــــــــم أَقطَـــــــــع حِبـــــــــالَ وِدادِهِ
وَسَـــــــتَرتُ مِنـــــــهُ مـــــــا اِســـــــتَطَعتُ بِسَـــــــترِهِ
وَأَخٍ أَطَعـــــــتُ فَمـــــــا رَأى لـــــــي طـــــــاعَتي
حَتّـــــــى خَرَجـــــــتُ بِـــــــأَمرِهِ عَـــــــن أَمـــــــرِهِ

تولدت عن ثنائية الغدر والوفاء ثنائية مضمرة تتمثل في (الصبر ≠ اليأس) فأبو فراس كان وفيا وأمينا لكن أخاه كان بخلافه تماما؛ فقد قابل وفاءه بالغدر والمكر إلا أن أبا فراس صبر وتحمل كثيرا إلى أن نفذ صبره ويئس من أمر أخيه فخرج عن أمره ليس لسبب سوى لأن أخاه كان سببا في تمرده وعصيان أمره.

لقد اعتمد أبو فراس على الثنائية الضدية (الوفاء والغدر) أحيانا بشكل ظاهر ومرئي يظهر للعيان من أول قراءة وأحيانا أخرى بشكل مضمر خفي يتبين لنا من خلال السياق، وقد كان لتوظيف هذه الثنائية أثر كبير في التأثير على القارئ من ناحية العقل أو العاطفة؛

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص142–143.

فمن الناحية الأولى رأينا أنه استدل وقارن بين المتناقضين وبين الفرق بينهما فالوفاء فضيلة سامية أما الغدر فهو رذيلة، أما من الناحية الثانية فإننا نعلم أن النفس تميل إلى الحسن الإيجابي وتنفر من القبيح السلبي، وقد تحققت لنا هذين الغايتين بفضل التضاد فلا أحد يستطيع أن ينكر جماليته الفنية وأثره البالغ على النصوص الأدبية بخاصة الشعر.

خامسا؛ ثنائية الأمل واليأس:

إن كلوم الحياة تصنع من الإنسان مصارعا يقارع نائبات الدهر ويحاول اجتيازها بكل صبر وثبات لكن النفس البشرية ضعيفة في تركيبتها وجوهرها يقول الله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء، الآية28]، فكثيرا ما يصيبها اليأس وتوشك على الاستسلام فأحيانا يعيش حياة من الأمل فيها غد أفضل فيسارع من أجل بقاء في وإثبات كيانه وأحيانا أخرى يحيا حالة يشوبها كثير من اليأس ينجر عنها انعزال عن المجتمع والعالم أجمع وحتى إحداث قطيعة مع النفس، وهذه أخطر مرحلة يمكن أن يصل إليها الإنسان.

تعد ثنائية الألم واليأس إحدى مظاهر الحياة، وهي نتيجة لذلك الصراع القائم من أجل البقاء فالإنسان ولد محاربا والمحارب عليه أن يصارع ويكابد ويتأمل النصر لكن في أحيان كثيرة تهون قواه ويتلاشى بريق الأمل في داخله فيصيبه برغبة في الانسلاخ عن الحياة وتمنّي الموت.

لقد عاش أبو فراس في كنف هذه الثنائية (الأمل واليأس) لكنها كانت بارزة بقوة في رومياته، حيث صاغ هذه الحالة النفسية التي تجتاح الإنسان في قالب شعري رائع وإن كان لعاطفة اليأس النصيب الأكبر فيه.

لما أسر أبو فراس كان يستوطنه كثير من الأمل، حيث اعتقد أن ابن عمه سيف الدولة لن يتوان لحظة في تقديم الفدية لأن أبا فراس عُرف بشجاعة قلّ نظيرها، فقد كان يقارع الشجعان، وينكل بالأعداء، ويدافع عن دولته دفاعا مستميتا، لكنه فوجئ بتباطئ سيف الدولة مما أثار حفيظته وأذكى الهواجس في نفسه.

وقد تباينت الآراء حول هذا الموقف فهناك من رأى أن سبب تأثر سيف الدولة عن افتدائه راجع إلى "أن سيف الدولة كان يريده فداء عاما لأبي فراس ولكلّ من معه من

المسلمين ممّن وقعوا قهرا في شراك الروم"[1] وهناك من أرجعه إلى تلك الحالة السياسية والاجتماعية التي كان عليها سيف الدّولة حينها إذ كان كالخارج من الموت، فقد كانت حلب مهدّدة ورجاله منفكّون عنه وكثير منهم أُسر أوقُتل ونُهب ماله الذي كان في حلب والرّومان ظافرون ظفرا لم يحلموا به منذ عهد الفتح الإسلامي[2].

إلا أننا نجد لحنا الفاخوري رأيا مخالفا حيث يرى أنه كان سيف الدولة وأبا فراس فجوة، بل إن أبا فراس "كان في أصل الخلاف الذي أتى إلى ابتعاد المتبني عن بلاط حلب وهو رجل طمع يطمح إلى تسنُّم العرش بعد سيف الدولة وقد ظهر طموحه بعد موت الأمير ظهورا لا يقبل له الشّك وهكذا فقد طال الأسر"[3]

وأغلب الظن أن أبا فراس كان يطمح للسيادة والحكم، وهذا نلحظه في محاولته اقتطاع حمص لنفسه بعد موت سيف الدولة، كما أنه لم يرثه ببيت شعري واحد.

عاش أبو فراس حالة نفسية مزرية فعانى الوحدة والوحشة وفراق الأهل والأحباب وغدر الدهر وتغير الأصحاب وهذا ما أحدث فيه تمزقا عاطفيا فكان شعره وليد انفعال حاد وعاطفة متوترة وغليان نفسي، يقول[4]:

لِمَـــــن أُعاتِـــــبُ مـــــالي أَيـــــنَ يُـــــذهَبُ بـــــي
قَـــــد صَـــــرَّحَ الـــــدَهرُ لـــــي بِـــــالمَنعِ وَاليـــــاسِ
أَبغـــــي الوَفـــــاءَ بِـــــدَهرٍ لا وَفـــــاءَ لَـــــهُ
كَـــــأَنَّني جاهِـــــلٌ بِالـــــدَهرِ وَالنـــــاسِ

يشكل هذين البيتين صورة لذات متأوهة تحولت إلى كتلة من الألم وكأن خطوب الحياة اجتمعت لتلقي بثقلها على كاهلها.

[1]– شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص708.

[2]– ينظر: فوزي عيسى، اتجاهات جديدة في شعر القرنين الثالث والرابع الهجريين، ص105.

[3]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص821.

[4]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص175.

نجد ثنائية الأمل واليأس متجسدة بشكل ظاهر وخفي في هذين البيتين فالظاهر منها يكمن في لفظتي (وفاء ولا وفاء) (أبغي واليأس) أما المضمرة فنستخلصه من خلال السياق، فبصيص الأمل يتردد على نفسية أبي فراس بين الفينة والفينة لعله يجد يدا تنتشله من الأسر الذي مزق كبده تمزيقا، لكن عاطفه اليأس أشد وأقوى، فالشاعر يبدو متعبا جدا ومنهكا من تقلب الدهر والبشر، فوفاؤه قوبل بالخذلان والغدر والجفاء لنجده يستسلم في الأخير ويجزم يقينا أن الدهر غدار والإنسان خوان.

أحدثت ثنائية الأمل واليأس صراعا داخليا في نفس أبي فراس، حيث نجد أحيانا حالة من السكون تخيم عليه وكأن به يستسلم لما ألمّ به، ونرى أحيانا أخرى حالة من الثورة والمقاومة وعدم الخضوع والامتثال للأمر الواقع(الأسر) .

كانت جراح الأسر ثقيلة جدا على أبي فراس، وكثيرا ما تسلل اليأس إلى قلبه، لكن شعاع الأمل كان يلوح في الأفق بين تارة وأخرى، يقول[1]:

وَمـــــا تَعَـــــرَّضَ لـــــي يَـــــأسٌ سَـــــلَوتُ بِـــــهِ
إِلّا تَجَـــــدَّدَ لـــــي فـــــي إِثـــــرِهِ طَمَـــــعُ

جاءت الثنائيات الضدية في هذا البيت بشكل ظاهر بين (يأس وطمع) كما وردت بشكل خفي أيضا؛ فالاعتراض(تعرض) يؤدي إلى شل الحركة وبذلك تحدث حالة من السكون، لكن التجدد (تجدد) يدل على دوام الحركة واستمرارها رغم ضعف وتيرتها، فالشاعر يعيش حالة من الصراع الداخلي بين عاطفتين متضادتين (الأمل واليأس) حيث يتخبط بين الأمل في الحياة والرغبة في ترك كل شيء.

علق أبو فراس كثيرا من الآمال على ابن عمه ليجيب الفداء يقول[2]:

اللَـــــــــــــهُ يَعلَـــــــــــــمُ أَنَّـــــــــــــهُ
أَمَلـــــــــي مِـــــــنَ الـــــــدُنيا وَســـــــولي

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص189.

[2]– نفسه، ص236.

نلاحظ من خلال هذا البيت وجود أمل قابع في قلب أبي فراس فبالرغم من القساوة التي يعيشها، إلا أنه لم يفقد الأمل في الظفر بحريته، ويرى في ابن عمه مخلصا له لما هو فيه.

لقد أحدث الغدر تصدعا كبيرا في قلب أبي فراس إلا أن نفسه بقيت تتمسك بخيط الأمل رغم شدة الأمل وبشاعته، يقول[1]:

يـــــا دَهـــــرُ خُنـــــتَ مَـــــعَ الأَصـــــادِقِ خُلَّتـــــي
وَغَـــــدَرتَ بـــــي فـــــي جُملَـــــةِ الإِخـــــوانِ
لَكِـــــنَّ سَـــــيفَ الدَولَـــــةِ المَـــــولى الَّـــــذي
لَـــــم أَنسَـــــهُ وَأَراهُ لا ينســـــاني
لَكِـــــنَّ سَـــــيفَ الدَولَـــــةِ المَـــــولى الَّـــــذي
لَـــــم أَنسَـــــهُ وَأَراهُ لا ينســـــاني
خِـــــدنُ الوَفـــــاءِ وَلا وَفِـــــيٌّ غَيـــــرَهُ
يَرضـــــى أُعـــــاني ضـــــيقَ حالَـــــةِ عـــــانِ

يشكل البيت الأول صورة رجل متوجع ذاق مرارة الغدر،إن كلماته تقطر ألما وحزنا وتحسرا بينما تضفي الأبيات الثلاثة سمة من الأمل في غد أفضل، فرغم الألم يبقى الأمل.

جاءت الثنائيات المتضادة في النص الشعري بين (الخيانة والوفاء) (التضييع والحفاظ) (الانخفاض والعلو) لتبين الحالة النفسية الصعبة التي يعيشها الشاعر؛ وترسم لنا صورة البطل الذي يجابه المصائب ويتحدى الصعاب بصبر وثبات، كما تكشف عن ولائه لابن عمه رغم الأسر، فالشاعر لم ينس سيف الدولة وفضله عليه فهو الكريم الوفي العطوف الذي يلجأ إليه المستغيث فلا يرده خائبا.

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص304.

لقد برزت ثنائية الأمل واليأس في شعر أبي فراس ونخص بالذكر "رومياته"، حيث نجد هذه الثنائية تستحوذ على قسم كبير من شعره، وذلك لكون الشاعر تعرض لاختبار صعب تمثل في أسره لمدة طويلة، مما جعله يتخبط بين الأمل في الحرية واليأس من الحياة، يقول[1]:

مُصـــــــــابي جَليـــــــــلٌ وَالعَـــــــــزاءُ جَميـــــــــلُ
وَظَنّـــــــي بِـــــأَنَّ اللَـــــهَ سَـــــوفَ يُـــــديلُ
جِـــــــراحٌ تَحاماهـــــــا الأُســـــــاةُ مَخوفَـــــــةٌ
وَسُـــــــقمانِ بـــــــادٍ مِنهُمـــــــا وَدَخيـــــــلُ
تَطـــــولُ بِـــــيَ الســـــاعاتُ وَهـــــيَ قَصـــــيرَةٌ
وَفـــــي كُـــــلِّ دَهـــــرٍ لا يســـــرك طـــــولُ

أصبح أبو فراس مثقلا بالجراح مكدسا بالآلام، فقد ترك في الأسر يعاني الوحشة والألم، لكن أمله في أن الله سيشفي جراحه لم ينعدم، فنراه يعبر عن تلك الآلام الداخلية والخارجية التي مزقته ويشتكيها إلى الله فهو القادر على تغيير حاله وتفريج همّه.

نجد الثنائية الضدية الفعلية السلبية متجسدة بين لفظتي (بادٍ ودخيل) (تطول وقصيرة) فالشاعر يعاني ألمين شديدين خارجي وداخلي، الظاهر منه يصور لنا ذلك الجسد الخائرة قواه المنهك من الأسر أما الباطن فإنه أشد وجعا لأن الشاعر تعرض لخذلان وغدر من أقرب الناس إليه، وهو الذي ضحي بنفسه من أجلهم، حيث تخلوا عنه لما كان في أمس الحاجة إليهم.

ثم نجد حالة من اليأس والقنوط تسيطر على نفسية أبي فراس فيفقد الأمل في أن يبقى معه أحد، يقول[2]:

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص232

[2]– نفسه، ص232.

تَناســـــــــــانِيَ الأَصـــــــــــحابُ إِلّا عُصَـــــــــــيبَةً
سَـــــــــتَلحَقُ بِـــــــــالأُخرى غَـــــــــداً وَتَحـــــــــولُ

وظف الشاعر صيغة "عصيبة" للدلالة على قلة الأصحاب، ويرى أن من بقي معه سيرحل وسينساه لا محالة، وهذا يصف لنا حالته النفسية المتعبة فَقَدْ فَقَدَ الأمل في جميع الخلق ولم يبق معه سوى الله تعالى.

ومن الثنائيات الضدية ذات التركيب الاسمي ضمن الثنائيات الضدية الحسيّة قول الشاعر[1]:

انظُـــــــــــر لِضَـــــــــــعفي يـــــــــا قَـــــــــويُّ
وَكُـــــــــــن لِفَقـــــــــــري يـــــــــــاغَني
أَحسِـــــــــــن إِلَـــــــــــيَّ فَـــــــــــإِنَّني
عَبـــــــــــدٌ إِلـــــــــــى نَفســـــــــــي مُســـــــــــي

نجد الثنائيات الضدية واقعة في هذين البيتين (الضعف والقوة) (الفقر والغنى) (الإحسان والإساءة) لتوضح لنا قدرة الله سبحانه وتعالى الباهرة وضعف الإنسان وهشاشته، فهو بحاجة دائمة إلى رب يعينه على نائبات الدهر ويوفقه لمبتغاه، بل إن الله لأشد رحمة بعبده من رحمة الأم بطفلها.

رغم خطوب الحياة إلا أن الشاعر يعلم يقينا أن له ربا كريما وركنا شديدا يأوي إليه وقت محنته فلا يضره شيء إلا بإذنه.

تجلت ثنائية الأمل واليأس في شعر أبي فراس بأشكال متنوعة ومتعددة، وقد عبر الشاعر عن هذه الثنائية المتأصلة في النفس البشرية بأسلوب فني راق تعكس شخصيته الفريدة من نوعها.

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص316.

سادسا، ثنائية المدح والهجاء:

تولّدت هذه الثّنائيّة عن ثنائية الحرية والسّجن، وقد سبق وأشرنا إلى تلك الحياة الملكيّة التي كان يعيشها الشّاعر الأمير أبو فراس، حيث نشأ في ظل القصر الحمداني وكان مقرّبا لابن عمّه، ومن الطبيعي أن يقوم أبو فراس بمدحه والثّناء عليه بخاصّة وأنّ ابن عمّه سيف الدّولة عُرف بخصال الملوك كالشّجاعة والتّواضع والكرم..

"ومدح الأمراء يكون بالكرم والشّجاعة ويُمن النقيبة وسداد الرّأي والتّيقّظ والحزم والدّهاء وما ناسب ذلك، ويطمح بهم في الأوصاف إلى حيث يليق بمناصبهم، وما انتهت إليه ممالكهم حتّى تكون رتبة العظماء منهم ثانية عن رتبة الخلفاء"[1]

والحق أن ابن عمّ أبي فراس كان له سلسلة من الأعمال البطوليّة والمواقف الإنسانيّة التي تبرز أحقيّته في الحكم وحكمته في تدبير أمور رعيّته، فنجد أبا فراس يصف شجاعته وإقدامه على مجابهة الأعداء بقوله:[2]

يـــــا بـــــاذل الـــــنفس والأمـــــوال مبتســـــما
أمـــــــا يهولـــــــك لا مـــــــوت ولا عـــــــدم؟
تفـــــــدي بنفســـــــك أقوامـــــــا صـــــــنعتهم
وكـــــــان حقّهـــــــم أن يفتقـــــــدوك هـــــــم

بالرغم من قوّة الجيش الحمداني ووجود فرسان جديرين بقيادته إلا أن سيف الدولة فضّل أن يقوم هو بتوجيهه وقيادته، وهذا دليل على شجاعته ونبل أخلاقه وحرصه على رعيّته.

وقد عُرف سيف الدّولة بمواقفه المعبّرة التي تنم عن حنكته وفطنته، كما كان له يد في الصّلح بين المتخاصمين ومنع سفك الدّماء بسبب المناوشات، يقول أبو فراس مفتخرا بسيف الدّولة ومتعرضا بناصر الدّولة وتدخّل هذا الأخير في الصّلح بينهما:[1]

---

[1]– حازم بن محمد القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دط، 1986م، ص151.

[2]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص260.

هـــــــذي شـــــــيوخ بنـــــــي حمـــــــدان قاطبـــــــة
لاذوا بـــــــدارك عنـــــــد الخـــــــوف واعتصـــــــموا
حلـــــــوا بـــــــأكرم مـــــــن حـــــــل العبـــــــاد بـــــــه
بحيـــــــث حـــــــل النّـــــــدى واســـــــتوثق الكـــــــرم
فكنـــــــت مـــــــنهم وإن أصـــــــبحت ســـــــيّدهم
تواضـــــــع الملـــــــك فـــــــي أصـــــــحابه عظـــــــم
لا تتكـــــــروا يـــــــا بنيـــــــه مـــــــا أقـــــــول فلـــــــن
تنســـــــى التّـــــــراث ولا إن حـــــــال شـــــــيخكم
كـــــــادت مخازيـــــــه ترديـــــــه فأنقـــــــذه
منهـــــــا بحســـــــن دفـــــــاع عنـــــــه عمّكـــــــم

إن الحكمة والتواضع والكرم والصلح بين المتنازعين من الصفات التي يجب أن يتحلى بها أي ملك، وسيف الدولة كان مجسّدا لهذه الفضائل التي تزيّن تاج الملك وتبعث على الوقار والدّهاء.

ولأبي فراس قصائد كثيرة في مدح بن عمّه وتعداد مناقبه وفضائله، بل إنّه وبالرغم من تأخر أمر مفاداته بقي وفيّاً له ومدحه كثيرا في رومياته، وفي عتابه له يكمن حب دفين وولاء منقطع النظير. ونجد أبا فراس يشكر سيف الدولة لأنه عفا عن قوم توسّط لهم فيقول[2]:

وَمـــــــا نِعمَـــــــةٌ مَشـــــــكورَةٌ قَـــــــد صَـــــــنَعتُها
إِلـــــــى غَيـــــــرِ ذي شُـــــــكرٍ بِمـــــــانِعَتي أُخـــــــرى
سَـــــــآتي جَمـــــــيلاً مـــــــا حَيِيـــــــتُ فَـــــــإِنَّني
إِذا لَـــــــم أُفِـــــــد شُـــــــكراً أَفَـــــــدتُ بِـــــــهِ أَجـــــــرا

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص270–271.
[2]– نفسه، ص123.

نلاحظ أن سيف الدولة عُرف بفضائل سامية رفيعة كالكرم والعفو والشجاعة والمروءة والتواضع، وشعر أبو فراس حافل بتعداد هذه المناقب التي غُرِست في شخصية بن عمه والمدح يقوم في أساسه على ذكر الصّفات الحسنة للمدوح "فعلى هذا الترتيب يجب أن يكون المدح وأن يحافظ على ما يجب اعتماده في امتداح كلّ طبقة من الممدوحين فلا يسمى بها إلى الرّتب التي فوقها ولا ينحطُّ بها إلى ما دونها"[1] .

وإذا ما جئنا للحديث عن غرض الهجاء في شعر أبي فراس فإننا نجد أنه خصّه لهجاء الكفّار والمشركين، وهذا ما يؤكّد صفاء سيرورته ونبل أخلاقه، وقد هجا الروم هجاءا لاذعا وذكر عيوبهم الجسمية والعقلية والعقائدية وشبّههم بالكلاب والحمير واتّهمهم بالجُبن والخوف، مثال ذلك قوله:[2]

أَمـــــا مِـــــن أَعجَـــــبِ الأَشـــــياءِ عِلـــــجٌ
يُعَرِّفُنـــــــي الحَـــــــلالَ مِـــــــنَ الحَـــــــرامِ
وَتَكنُفُـــــــــهُ بِطارِقَـــــــــةٌ تُيـــــــــوسٌ
تُبـــــــــارى بِالعَثـــــــــانينِ الضِـــــــــخامِ
لَهُـــــم خِلَـــــقُ الحَميـــــرِ فَلَســـــتَ تَلقـــــى
فَتـــــىً مِـــــنهُم يَســـــيرِ بِـــــلا حِـــــزامِ
يُريغـــــــونَ العُيـــــــوبَ وَأَعجَـــــــزَتهُم
وَأَيُّ العَيـــــــبِ يوجَـــــــدُ فـــــــي الحُســـــــامِ
وَأَصـــــــعَبُ خُطَّـــــــةٍ وَأَجَـــــــلُّ أَمـــــــرٍ
مُجالَسَـــــــةُ اللِئـــــــامِ عَلـــــــى الكِـــــــرامِ

يرمي الشاعر الروم بسهام من الهجاء المقذع والسّخرية اللاذعة، ذلك أن العرب أفضل من الروم في فنون الحرب والقتال كما أن الإسلام دين حق وهداية في حين أن الروم

[1]– حازم بن محمد القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص152.

[2]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص276 .

تخاف الموت وتخشى خوض المنايا فالجُبن صفة جنودها، وشبه الفتى منهم بالحمار الذي يتوسّطُه الحزام فهو جبان لئيم لا دين له ولا دنيا.

وإذا كان الهجاء بين الأعداء فإن العتاب يكون بين الأخلّة والأحبة، فقد عاتب أبو فراس ابن عمه عن مماطلته وتأخره عن الافتداء، والعتاب أقلُّ درجة من الهجاء وأحيانا يرق فيصبح استعطافا وأحيانا يشتدّ فيصل إلى درجة اللّوم، بل إننا نجد العتاب والاستعطاف مجتمعين في قصيدة واحدة وهذا ما يؤكّد لنا المحبّة المتخفّية وراء العتاب فهو لوم خفيف، يقول أبو فراس:[1]

إلَيـــــــكَ أَشـــــــكو مِنـــــــكَ يـــــــا ظـــــــالِمي
إذ لَـــــــيسَ فـــــــي العـــــــالَمِ مُعـــــــدٍ عَلَيـــــــك
أَعانَـــــــكَ اللَـــــــهُ بِخَيـــــــرٍ أَعِـــــــن
مَـــــــن لَـــــــيسَ يَشـــــــكو مِنـــــــكَ إِلّا إِلَيـــــــك

نلاحظ عتاب أبي فراس لابن عمه على مماطلته في افتدائه، كما نجده يستعطفه في آنٍ واحد وهذا دليل على ولاء الشّاعر لِملكِهِ وحُبِّهِ له.

تبرز هذه الثنائية في روميات أبي فراس بشكل متكرر، وقد كان التعبير عن تجربة الأسر والمعاناة والفقد كفيلا بتفجير طاقات الإبداع الشعري وقد اكتسبت روملياته لونا عاطفيا لم يعرف من قبل فكان شعره صادق الإحساس "لو سمعته الوحش أنست ولو خوطبت به الخرس نطقت أو استدعي به الطير نزلت"[2].

كما أن الروميات ضمنت البقاء والخلود لأبي فراس "لولا روميات لضاع اسم أبي فراس بين أسماء الشعراء الكثيرين الذين تحالفوا عبثا على المتبني في حضرة سيف الدولة"[3]، بل إن الروميات تجربة شعرية نادرة إذ قلما نجد لها نظيرا في شعرنا العربي وهي بهذا تحمل

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص203.

[2]– الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ص88.

[3]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص824.

قيمة عالية ومكانة مرموقة يقول شوقي ضيف: "وتقدر روملياته أو أشعاره في أسر الروم القطع الأرجوانية في ديوانه"[1].

فالروميات ولدت من رحم الأسر الذي أَلَمّ بأبي فراس والمعاناة التي جعلته ينتحب من الألم، فعبر بلسانه عن عبراته الحارقة وعن تهدم كيان وسؤدد ومجد في شعر يُعَدُّ من عيون الشعر العربي.

من النصوص الشعرية التي تطالعنا ضمن ثنائية العتاب والاستعطاف قصيدة بعنوان "بني عمنا" وتتجسد هذه الثنائية في جل أبياتها حيث نجد أبا فراس يخاطب بن عمه بنبرة غاضبة ويلومه على مماطلته في دفع الفدية ويستعطفه في آن واحد، ويذكره بخدماته التي قدمها لآل حمدان بأسلوب رائع جمع فيه بين عاطفتي الغضب والاستعطاف، يقول في بعض أبياتها[2]:

أَمـــــــا لِجَميـــــــلٍ عِنـــــــدَكُنَّ ثَـــــــوابُ
وَلا لِمُســـــــــيءٍ عِنـــــــدَكُنَّ مَتـــــــابُ
إِلـــــى اللَـــــهِ أَشـــــكو أَنَّنـــــا بِمَنـــــازِلٍ
تَحَكَّـــــمُ فـــــي آســـــادِهِنَّ كِـــــلابُ
بَنـــــي عَمِّنـــــا لا تُنكِـــــروا الحَـــــقَّ إِنَّنـــــا
شِـــــدادٌ عَلـــــى غَيـــــرِ الهَـــــوانِ صِـــــلابُ
أَمِـــــن بَعـــــدِ بَـــــذلِ الـــــنَفسِ فيمـــــا تُريـــــدُهُ
أُثـــــابُ بِمُـــــرِّ العَتـــــبِ حـــــينَ أُثـــــابُ
فَلَيتَـــــكَ تَحلـــــو وَالحَيـــــاةُ مَريـــــرَةٌ
وَلَيتَـــــكَ تَرضـــــى وَالأَنـــــامُ غِضـــــابُ
وَلَيـــــتَ الَّـــــذي بَينـــــي وَبَينَـــــكَ عـــــامِرٌ

[1]– شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، ص709.

[2]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص24–27.

وَبَينـــــــــــي وَبَـــــــــــينَ العـــــــــــالَمينَ خَـــــــــــرابُ

تصور لنا الأبيات الثلاثة الأولى الغضب الشديد الذي يعتري الشاعر، فنراه يعاتب بن عمه ويلومه لوما شديدا إثر تخلي هذا الأخير عنه، ويذكره بالأيام التي قضاها في الدفاع عنه والولاء له: فأبو فراس غاضب إثر الجزاء الذي ناله من بعد كل ما قدمه لقومه، ثم نرى عاطفة الاستعطاف تجتاح هذا الغضب لتعبر عن ألم بين الضلوع دفين، فبالرغم من المعاملة الجافية التي تعرض لها هذا الفارس الأمير إلا أنه باقي على العهد وفيّا لدولته وابن عمه.

وقد وظف الشاعر ثنائيات ضدية بشكل ظاهر وخفي ليعبر عن حالته النفسية المضطربة تمثلت في (تحلو ومريره) (ترضى وذاب) (عامر وخراب) ليؤكد على متانة العلاقة التي تجمعه وابن عمه، فحياته حلوة مادام سيف الدولة إلى جانبه حتى وان تخلى عنه الجميع، بل إن هدف الشاعر يتمثل في نيل رضى ابن عمه ولو سخط عنه جُل الناس.

إن الغضب الذي سيطر على نفسيه أبي فراس ناتج عن ذلك الألم الذي أبى مفارقته بعد أن تنكر له كل شيء، فقد كان الحامي الذي رفع لواء بني حمدان عاليا والقائد الذي تصدى لكل ما من شانه أن يمس مجد الحمدانيين وأهان نفسه للرماح والسيوف في سبيل عز قومه لخزى في الأخير بالخذلان والهجر فأصبح متقلبا بين "عاطفتين حادتين عاطفة السخط والثورة وعاطفة التذلل والملانية"[1].

رغم المراسلات التي قام بها أبو فراس لابن عمه إلا أنه لم يكترث وتركه في ذل الأسر معذبا وهذا ما جعل أبا فراس "يهدد تارة ويعاتب تارة أخرى وكلامه يلين تارة ويقسو أخرى في جو من العواطف والأساليب المتصارعة"[2]. وكثيرا ما عبر الشاعر على هذه العواطف المتضاربة التي تستوطن النفس البشرية فنجده يقول[3]:

[1]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، ص827.

[2]– نفسه، ص827.

[3]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص307.

وَإِنّـــــــــي لَأَنـــــــــوي هَجـــــــــرُهُ فَيَرُدُّنـــــــــي
هَـــــــوىً بَـــــــينَ أَثنـــــــاءِ الضُـــــــلوعِ دَفـــــــينُ
فَـــــــيَغلُظُ قَلبـــــــي ســـــــاعَةً ثُـــــــمَّ أَنثَنـــــــي
وَأَقســـــــــو عَلَيـــــــــهِ تـــــــــارَةً وَأَلـــــــــينُ

إنه تعبير على صراع الأحاسيس والمشاعر النفسية للإنسان حيث نلاحظ وجود ثنائية متضادة تتمثل في (البقاء والرحيل) فالشاعر يعيش حالة نفسية مضطربة وقد وظف ألفاظ وتراكيب ضدية للتعبير عن تمزقه العاطفي وحيرته من الموقف المتأزم الذي يعيشه فعواطفه تتقلب وتتغير بشكل يجعله يحيى في جو من القلق والحيرة وتتمثل هذه الألفاظ في قوله: (الهجر والرد) (يغلظ وينثني) (أقسو وألين) وكلها جاءت للدلالة على شدة احترام الصراع النفسي لأبي فراس.

مضت الأيام والأشهر وأبو فراس أسير عند الروم فذهبت أمه إلى حلب تكلم سيف الدولة في المفاداة فردّها خائبة فلما بلغه مافعله بعث إليه يعاتبه ويلومه يقول[1]:

يـــــــا حَســـــــرَةً مـــــــا أَكـــــــادُ أَحمِلُهـــــــا
آخِرُهـــــــــــا مُـــــــــــزعِجٌ وَأَوَّلُهـــــــــــا
عَليلَـــــــــــةٌ بِالشَـــــــــــآمِ مُفـــــــــــرَدَةٌ
بـــــــــاتَ بِأَيـــــــــدي العِـــــــــدى مُعَلِّلُهـــــــــا
تُمسِـــــــــكُ أَحشـــــــــاءَها عَلـــــــــى حُـــــــــرَقٍ
تُطفِئُهـــــــــا وَالهُمـــــــــومُ تُشـــــــــعِلُها

وردت ثنائية في هذه الأبيات بشكل ظاهر تمثلت في الألفاظ التالية (آخرها وأولها) (تطفئ وتشعل)، وهذه القصيدة تحمل العديد من الثنائيات الضدية وقد افتتح الشاعر القصيدة بأمه والحديث عن آلامها التي جعلتها عليلة منكسرة ثم تكلم بلسانها على الحالة الصعبة

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص241.

التي تحياها إثر فقدها ولدها (أبو فراس). ثم ينتقل أبو فراس إلى مخاطبة ابن عمه ويلومه على صرف أمه فيقول بنبرة غاضبة[1]:

بِـــــــــــأَيِّ عُـــــــــــذرٍ رَدَدتَ والِهَـــــــــــةً
عَلَيـــــــــــكَ دونَ الـــــــــــوَرى مُعَوَّلُهـــــــــــا
تِلـــــــــــكَ المَـــــــــــوَدّاتُ كَيـــــــــــفَ تُهمِلُهـــــــــــا
تِلـــــــــــكَ المَواعيـــــــــــدُ كَيـــــــــــفَ تُغفِلُهـــــــــــا
تِلـــــــــــكَ العُقـــــــــــودُ الَّتـــــــــــي عَقَـــــــــــدتَ لَنـــــــــــا
كَيـــــــــــفَ وَقَـــــــــــد أُحكِمَـــــــــــت تُحَلِّلُهـــــــــــا
أَرحامُنـــــــــــا مِنـــــــــــكَ لِـــــــــــم تُقَطِّعُهـــــــــــا
وَلَـــــــــــم تَـــــــــــزَل دائِبـــــــــــاً تُوَصِّـــــــــــلُها
أَيـــــــــــنَ المَعـــــــــــالي الَّتـــــــــــي عُرِفـــــــــــتَ بِهـــــــــــا
تَقولُهـــــــــــا دائِمـــــــــــاً وَتَفعَلُهـــــــــــا

جاءت الثنائيات الضدية في هذه الأبيات بشكل فعلي وذلك في كل من لفظتي: (عقدت وحللت) (تقطعها وتوصلها).

إن عاطفة الغضب تسيطر على أبي فراس، فنراه يلوم ابن عمه ويعتب عليه لأنه رد والدته التي كانت ترى فيه سندا تأوي إليه من نائبات الدهر، وهذا ما أحدث فيها انكسارا وتصدعا شديدين حيث لم تجد سوى الدموع عزاءا لها، ثم نرى أبا فراس يتهم سيف الدولة بقطع صلة الرحم ونسيان الأيام الخوالي حينما كان أبو فراس يُشَيّعُ جسده في المعارك خدمة لآل حمدان، ويختم قصيدته بإلزام ابن عمه بدفع الفدية لأنه يراها فرضا عليه وواجبا يقوم به جزاء على البطولات التي حققها لقومه.

عرف أبو فراس بشجاعته وبسالته وإقدامه وولائه لابن عمه فلما وقع في الأسر تخلى عنه وتركه يتجرع مرارة السجن ويحترق من الشوق فبعث إليه يلومه ويعتب عليه قائلا[1]:

[1]- نفسه، ص243.

وَكَـــــــم لَـــــــكَ عِنـــــــدِيَ مِـــــــن غَـــــــدرَةٍ
وَقَـــــــــولٍ تُكَذِّبُـــــــــــهُ بِالفِعـــــــــــالِ
وَوَعـــــــــدٍ يُعَـــــــــذِّبُ فيـــــــــهِ الكَـــــــــريمُ
إِمّـــــــــا بِخُلـــــــــفٍ وَإِمّـــــــــا مِطـــــــــالِ
صَـــــــــبَرنا لِسُـــــــــخطِكَ صَـــــــــبرَ الكِـــــــــرامِ
فَهَـــــــذا رِضـــــــاكَ فَهَـــــــل مِـــــــن نَـــــــوالِ
وَذُقنـــــــــا مَـــــــــرارَةَ كَـــــــــأسِ الصُـــــــــدودِ
فَـــــــأَينَ حَـــــــلاوَةُ كَـــــــأسِ الوِصـــــــالِ

نلاحظ عتب الشاعر على ابن عمه واتهامه نبكث الوعد والمماطلة في الفداء وقد وظف ثنائيات ضدية ليعبر عن ولائه لسيف الدولة وتنكر هذا الأخير له تمثلت في:(سخطك ورضاك)، (مرارة وحلاوة)، (الصدر والوصال) كما وردت بشكل مدمر أيضا فالفعل يحمل دلالة زمنية (ماضي، حاضر، أمر) لكن المواطنة تدل على عدم وقوع الفعل أو وقوعه بعد مدة زمنية طويلة وهي بهذا تقف في الطرف الآخر للتضاد؛ أي أن المماطلة لا تقف أمام وقوع الفعل الافتراضي (الافتداء).

يخاطب الشاعر ابن عمه بلطف وملانية وذلك لاستمالة قلبه وإقناعه بدفع الفداء وتخلصيه من الأسر الذي أحدث فيه تصدعا شديدا، يقول[2]:

بِـــــــــالكُرهِ مِنّـــــــــي وَاِختِيـــــــــارِك
أَن لا أَكـــــــــونَ حَليـــــــــفَ دارِك
يـــــــا تـــــــارِكي إِنّـــــــي لِـــــــذِك
رِكَ مـــــــا حَيِيـــــــتُ لَغَيـــــــرُ تـــــــارِك
كُـــــــن كَيـــــــفَ شِـــــــئتَ فَـــــــإِنَّني

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص247.

[2]– نفسه، ص203.

ذاكَ المُواســـــــــــــــــــي وَالمُشـــــــــــــــــــــارِك

أمام الحالة السلبية التي يحيا في ظلها الشاعر نلاحظ وجود ثنائية الحركة والسكون، فبالرغم من حالة اليأس والشعور بالعجز المطلق أمام قوة الدهر إلا أن رغبة الشاعر في الانتصار على هذه الحالة متأججة، فالأسر يضفي حالة من السكون والركود في حين أن المقاومة تحيل إلى الحركة والاستمرارفي مواجهة الزمن وتقلباته وقد تجسد ثنائية الحركة والسكون في لفظتي (تارك وغير تارك) فالتّرك يدل على توقف الفعل وعدم الاستمرار في حين أن التمسك بالفعل دليل على استمراريته وحركيته رغم انخفاض مستواه.

سابعا؛ ثنائية الحياة والموت:

تعد ثنائية الحياة والموت من أبرز الثنائيات التي شغلت فكر الإنسان منذ آلاف السنين وجعلته في سعي دائم إلى معرفة حقيقتها واكتشاف خباياها، فتعددت تعريفات هاتين الظاهرتين وتنوعت كل حسب منظوره.

"إن الحياة هي ثبات الشيء على الحالة الأولى ويضاده الفناء"[1] أي أن يكون الشيء دالا على الحركة والاستمرارية، فإذا توقفت حركته عد ميتا والموت هو "توقف معالم الحياة في الجسم الطبيعي من حركة ونمو وحس وتنفس وقدرة على التكاثر والتغذي، وهو نهاية مرحلة تنفصل عندها ثنائية الوجود الإنساني (الجسد والروح) ليعود كل عنصر إلى عالمه الأزلي"[2] فتصعد الروح إلى السماء ويرجع الجسد إلى التراب.

إن الموت "ليس فناء بل مجرد ميلاد ثان للإنسان في عالم مجرد من المادة"[3] وعلى الإنسان أن يعد الزاد للمثول أمام الله سبحانه وتعالى يوم يحاسب الكل على أعماله فإن كان خيرا فجنات ونعيم، وإن كان شرا فجهنم وبئس المصير.

---

[1]– سعدية أحمد مصطفى، البقاء والفناء في شعر أبي العتاهية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010م، ص19.

[2]– سناء سلمان عبد الجبار، ثنائية الحياة والموت عند نارك الملائكة، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة تكريت، العراق، العدد5، 2007م، مج14، ص173.

[3]– حسين نجيب، الروح بين العلم والعقيدة الحياة بعد الموت، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 2005م، ص131.

تبرز في شعر أبي فراس الحمداني ثنائية الحياة والموت التي تعكس الصدام بين هذين النقيضين اللذين يعتبران حق كل مخلوق، فالحياة صراع من أجل البقاء والموت مصير كل شيء، فللكل مصير واحد ألا وهو والموت والزوال والاندثار.

قضى أبو فراس حياته بين ضراب السيوف وطعنات القنا، كان في كل مرة يشيّع جسده في المعارك وكثيرا ما خرج منها منتصرا ظافرا بالمجد والبطولة لكن أسره عند الروم جعله كالطير مكسور الجناحين لا يستطيع حراكا، فقد قضى الأسر على حريته وهذا موت من نوع آخر.

وردت ثنائية الحياة والموت في شعر أبي فراس بكثرة ولعل الميزة التي انفرد بها الشاعر تكمن في ذلك التحدي المنقطع النظير رغم الآلام الجسدية والنفسية التي تعرض لها إلا أنه عاش محاربا بلسانه وسيفه حتى آخر لحظات حياته فنراه يرسم لنا المسار الذي ينحاه في حياته بقوله[1]:

مَتـــــى مـــــا يَـــــدنُ مِـــــن أَجَـــــلٍ كِتـــــابي
أَمُـــــــت بَـــــــينَ الأَعِنَّـــــــةِ والأســـــــنة
وَمَـــــــوتٌ فـــــــي مَقـــــامِ العِـــــزِّ أَشـــــهى
إِلـــــى الفُرســـــانِ مِـــــن عَـــــيشٍ بِمَهنَـــــة

هذين البيتين يلخصان طريقة عيش هذا الفارس الحمداني، الذي يشتهي الموت بشرف ويأبى الحياة بذل، لطالما تاقت روحه إلى ساحات القتال وعشق قعقعة السيوف وتطاير الرماح.

وردت الثنائيات المتضادة بين لفظتي (موت وعيش) (عز ومهنة) وهذا للدلالة على وجوب الحياة بأنفة وعزة وعدم الخضوع للذل والهوان، إنها تعريف مختصر للطريقة التي يجب أن نتبعها في هذه الحياة.

[1]- أبو فراس الحمداني، الديوان، ص293.

إن الفناء سمة كل مخلوق من إنس وجن وملائكة، يقول الله تعالى: ﴿مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن، الآية 26-27] وقد أيقن أبو فراس بهذه الحقيقة التي لن ينجو منها أحد يقول[1]:

هَيهـــــاتَ مـــــا فـــــي النـــــاسِ مِـــــن خالِـــــدِ
لابُـــــدَّ مِـــــن فَقـــــدٍ وَمِـــــن فاقِـــــدِ

فالكل سيشرب من كأس المنية، والموت هو آخر محطة يقف عندها الإنسان قبل أن يكمل رحلته إلى الآخرة، فإما ثواب وإما عقاب.

وردت ثنائية الحركة والسكون مرة أخرى في هذا البيت الشعري، فلفظة (فَقْدٍ) تدل على توقف الحركة ،فالموت يفصل الجسد عن الروح وبهذا تحدث حالة من السكون، أما لفظة (فَاقِدٍ) فتوحي على استمرارية الحركة بغض النظر عن وتيرتها فالفاقد حيّ، والحيّ يمتلك القدرة على الحركة عكس الميت الذي يعجز عن فعل أي شيء.

إن الوحدة التي رافقت أبا فراس في سجنه أدت به إلى التأمل والتدبر في هذا الكون بمختلف مخلوقاته، فتشكلت عنده نظرة فلسفية نحو الحياة قادته إلى الزهد والورع، فقال حكما تعتبر من أروع ما تجود به النفس البشرية.

يقول أبو فراس ناصحا الغافلين عن الموت والمنخدعين بزيف الدنيا وبهرجها[2]:

أَمـــــا يَـــــردَعُ المَـــــوتُ أَهـــــلَ النُهـــــى
وَيَمنَـــــعُ عَـــــن غِيِّـــــهِ مَـــــن غَـــــوى
فَيـــــا لاهِيـــــاً آمِنـــــاً وَالحِمـــــامُ
إِلَيـــــهِ سَـــــريعٌ قَريـــــبُ المَـــــدى
إِذا مـــــا مَـــــرَرتَ بِأَهـــــلِ القُبـــــورِ
تَيَقَّنـــــتَ أَنَّـــــكَ مِـــــنهُم غَـــــدا

[1]- أبو فراس الحمداني، الديوان، ص76.

[2]- نفسه، ص9.

وَأَنَّ العَزيـــــــــــــزَ بَهـــــــــــــا وَالـــــــــــــذَليلَ
سَـــــــــــــواءٌ إذا أُســـــــــــــلِما لِلبِلـــــــــــــى
غَـــــــــــــريبَينِ مالَهُمـــــــــــــا مُـــــــــــــؤنِسٌ
وَحيـــــــــــــدَينِ تَحـــــــــــــتَ طِبـــــــــــــاقِ الثَـــــــــــــرى
فَـــــــــــــلا أَمَـــــــــــــلٌ غَيـــــــــــــرَ عَفـــــــــــــوِ الإِلَـــــــــــــهِ
وَلا عَمَـــــــــــــلٌ غَيـــــــــــــرُ ماقَـــــــــــــد مَضـــــــــــــى
فَـــــــــــــإِن كـــــــــــــانَ خَيـــــــــــــراً فَخَيـــــــــــــراً تَنـــــــــــــالُ
وَإِن كـــــــــــــانَ شَـــــــــــــرّاً فَشَـــــــــــــرّاً تَـــــــــــــرى

تجسدت الثنائيات الضدية في هذه الأبيات بشكل ظاهر في كل من لفظتي (الأمن والبلاء) (العزيز والذليل) (الخير والشر)، كما وردت بشكل مضمر فالماضي يدل على الزمن الذي انتهى (مضى)، والحاضر يدل على الزمن الذي نعيشه (غدا)، والعبد لابد أن يشرب من كأس الموت لا محالة، سواء قصر عمره أم طال، وقد وظف الشاعر هذه التراكيب الضدية من أجل إقناع المتلقي بضرورة العودة عن الذنب والتوبة إلى الله وأن يتقي يوما لا ينفع فيه مال ولا بنون فالناس صنفان: واحد في الجنة والآخر في النار.

فعلى الإنسان أن يقلع عن المعاصي والذنوب ويطهر نفسه من الهوى وإلا هوى في جهنم والعياذ بالله. قال أبو فراس لبعض المنجمين وقد أثار عليه بأمر فخالفه[1]:

يـــــــــــــا مُعجَبـــــــــــــاً بِنُجومِـــــــــــــهِ
لا الـــــــــــــنَحسُ مِنـــــــــــــكَ وَلا السَـــــــــــــعادَة
اللَـــــــــــــهُ يَـــــــــــــنقُصُ مـــــــــــــا يَشـــــــــــــا
ءُ وَفـــــــــــــي يَـــــــــــــدِ اللَـــــــــــــهِ الزِيـــــــــــــادَة
دَع مـــــــــــــا أُريـــــــــــــدُ وَمـــــــــــــا تُـــــــــــــري
دُ فَـــــــــــــإِنَّ لِلَّـــــــــــــهِ الإِرادَة

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص81.

2– نفسه،ص59.

وردت الثنائيات الضدية في هذه الأبيات بشكل سلبي تمثلت في (النحس والسعادة) (النقصان والزيادة)، وذلك لإعطاء دلالة معبرة عن حياة كل إنسان، فالله جعل لعبده قدرا يرافقه حتى موته، وكفل له رزقه فلا يموت حتى يستوفيه ،كما أن الله أعلم بالعبد من نفسه، ويكذّب أبو فراس المنجمين لأنهم لا يستطيعون فعل أي شيء أمام إرادة الله، فهو العالم بكل شيء والقادر على فعل أي شيء.

رغم صغر سن أبي فراس إلا أن الحكمة أضفت عليه وقارا قلّ نظيرها عند أترابه يقول واصفا الدنيا وتقلباتها[2]:

أَلا إِنَّمـــــــــا الـــــــــدُنيا مَطِيَّـــــــــةُ راكِـــــــــبٍ
عَـــــــلا راكِبوهـــــــا ظَهـــــــرَ أَعـــــــوَجَ أَحـــــــدَبا
شُـــــــموسٌ مَتـــــــى أَعطَتـــــــكَ طَوعـــــــاً زِمامَهـــــــا
فَكُـــــــن لِـــــــلأَذى مِـــــــن عَقِّهـــــــا مُتَرَقِّبـــــــا

يبين لنا أبو فراس أن لهذه الدنيا وجهين متضادين، فإذا أفرحتك اليوم أبكتك غدا، وإن أحزنتك اليوم أسعدتك في الغد، فدوام الحال من المحال، فلا يغتر من منّت عليه بنعيمها ولذّاتها، بل يجب أن يظل في استعداد دائم إلى مجابهة صعابها ونائباتها.

وظف الشاعر التضاد ليوضح لنا كيف يستحيل الفرح حزنا والسعادة شقاء، وذلك في لفظتي (طوعا وعقوقا) فالحياة عجيبة تضحك للعبد حتى يأمنها، فإذا ما اطمئن لها أذاقته من شرورها ما لا طاقة له به.

ثامنا؛ ثنائية الحقيقي والمتخيل:

نجد هذه الثنائية واقعة في شعر أبي فراس بشكل متكرر، فكثيرا ما خاطب الشاعر أشخاصا غير متواجدين معه وتبادل معهم أطراف الحديث (ابن عمه، أمه، ابنه، أخاه أبا الهيجاء)، بل إنه جرد من نفسه شخصا فحدثه وحاوره، كما نجده يخاطب أشخاصا حقيقيين ويحاورهم وجها لوجه، كمحاورته مع الدمستق وكذلك حديثه مع الحمامة التي سمعها تهدل. لما بلغ أبو فراس خبر موت أخته قال يرثيها وقد جرد من نفسه شخصا يخاطبه (المتخيل) قال[1]:

أَتَـــــــــزعُمُ أَنَّـــــــــكَ خِـــــــــدنُ الوَفـــــــــاءِ
وَقَـــــد حَجَـــــبَ التُـــــربُ مَـــــن قَـــــد حَجَـــــب
فَـــــــإِن كُنـــــــتَ تَصـــــــدُقُ فيمـــــــا تَقـــــــولُ
فَمُـــــت قَبـــــلَ مَوتِـــــكَ مَـــــع مَـــــن تُحِـــــب

نلاحظ أن الشاعر يخاطب شخصا متخيلا، فيحاوره ويبثه آلامه، ويشتكي له شدة حزنه وعجزه عن رد الموت الذي لحق بأخته يقول الشاعر[2]:

وَلَـــــــو رُدَّ بِـــــــالرِزءِ مـــــــا تَســـــــتَحِقُّ
لَمـــــا كـــــانَ لـــــي فـــــي حَيـــــاةٍ أَرَب

يقصد الشاعر بقوله هذا أنه لو كان موته يرد إلى أخته الحياة لفداها بنفسه، لكن الموت مصير جميع الناس رغم تباينهم واختلافهم. حين توفيت أم أبي فراس كان ما يزال في سجنه أسيرا، فلما بلغ مسمعه خبر وفاتها رثاها في قصيدته تقطر كلماتها حزنا ودمعا، يقول في بعض أبياتها[3]:

أَيـــــــا أُمَّ الأَســـــــيرِ سَـــــــقاكِ غَيـــــــثٌ

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص49.

[2]– نفسه، ص49..

[3]– نفسه، ص162–163.

إلـــــــى مَـــــــن بِالفِـــــدا يَـــــأتي البَشـــــيرُ
إذا اِبنُـــــكِ ســـــارَ فـــــي بَـــــرٍّ وَبَحـــــرِ
فَمَـــــن يَـــــدعو لَـــــهُ أَو يَســـــتَجيرُ
إلـــــى مَـــــن أَشـــــتَكي وَلِمَـــــن أُنـــــاجي
إذا ضـــــاقَت بِمـــــا فيهـــــا الصُـــــدورُ
بِـــــأَيِّ دُعـــــاءِ داعِيَـــــةٍ أُوَقّـــــى
بِـــــأَيِّ ضِـــــياءِ وَجـــــهٍ أَســـــتَنيرُ

يهيمن على الشاعر حزن طاغ، فقد توفيت أمه وقلبها متصدع لفراق ابنها، فنجد أن ألمه قد بلغ ذروته لما ماتت ولم تتسنى لها رؤية فلذة كبدها، إن كلماته تذيب الصخر فهي تكشف عن شخصية أبي فراس المنكسرة، إن الأم التي تركها وحيدة تتقلب بين الأمل واليأس والتي لم تتخلى عنه حين تركه الجميع تخطفها المنية فجأة لتتركه بلا سند ولا عضد.

سمع أبو فراس حمامة وهو في أسره تنوح على شجرة فقال يخاطبها[1]:

أَقـــــولُ وَقَـــــد ناحَـــــت بِقُربـــــي حَمامَـــــةٌ
أَيـــــا جارَتـــــا هَـــــل تَشـــــعُرينَ بِحـــــالي
أَيـــــا جارَتـــــا مـــــا أَنصَـــــفَ الـــــدَهرُ بَينَنـــــا
تَعـــــالَي أُقاسِـــــمكِ الهُمـــــومَ تَعـــــالَي
أَيـــــا جارَتـــــا مـــــا أَنصَـــــفَ الـــــدَهرُ بَينَنـــــا
تَعـــــالَي أُقاسِـــــمكِ الهُمـــــومَ تَعـــــالَي
أَيَضـــــحَكُ مَأســـــورٌ وَتَبكـــــي طَليقَـــــةٌ
وَيَســـــكُتُ مَحـــــزونٌ وَيَنـــــدِبُ ســـــالِ
لَقَـــــد كُنـــــتُ أَولـــــى مِنـــــكِ بِالـــــدَمعِ مُقلَـــــةً
وَلَكِـــــنَّ دَمعـــــي فـــــي الحَـــــوادِثِ غـــــالِ

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص238.

يخاطب أبو فراس الحمامة النائحة على نسق جديد، فنراه يتخذها جارة له تقاسمه وحدته فيبثها أحزانه وآلامه.

إن المتأمل في هذه الأبيات يجد موقفا متعارضا ومتناقضا تماما (المفارقة)، فمن العجيب أن نجد الحمامة تبكي وتنوح وهي الحرة الطليقة، ويضحك الأسير الذي سلبت حريته، وهنا يظهر الشاعر تماسكه وتجلده أمام المصاب الذي لحقه، لكن تظاهره هذا يخفي وراءه ذاتا منكسرة متصدعة.

نلاحظ تجسد الثنائية الضدية بين لفظتي (يضحك وتبكي) (يسكت ويندب) (مأسور وطليقة) (محزون وسال)، وهي ألفاظ وتراكيب جاءت في سياق ضدي للدلالة على الصراع الذي يحيى في خضمه الشاعر وهو المتأوه من تقلب الدهر والبشر، فنراه يتخذ الصبر سلاحا يعينه على خطوب الحياة.

ومن هنا يمكن القول أن الثنائيات الضدية لها دور كبير في إيصال المعنى المراد وتيسير الفهم للمتلقي.

كثيرا ما خاطب أبو فراس رفيقا متخيلا وطلب منه البكاء وبثه أحزانه– تماما كما فعل الشعراء الجاهليون– يقول[1]:

يـــــا واقِفـــــانِ مَعـــــي عَلـــــى الـــــدارِ اِطلُبـــــا
غَيـــــــــري لَهـــــــــا إِن كُنتُمـــــــــا تَقِفـــــــــانِ
مَنَـــــــعَ الوُقـــــــوفَ عَلـــــــى المَنـــــــازِلِ طـــــــارِقٌ
أَمَـــــــــرَ الـــــــــدُموعَ بِمُقلَتـــــــــي وَنَهـــــــــاني

نهج أبو فراس منهج القدماء في العديد من قصائده، فكان يبكي الطلل ويوقف الرفيق ويستبكيه–وهو رفيق متخيل–يقول[2]:

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص302.

[2]– نفسه، ص183.

خَليلَـــــــــيَّ لِـــــــــم لا تَبكِيـــــــــاني صَـــــــــبابَةً
أَأَبـــــــــدَلتُما بِـــــــــالأَجرَعِ الفَـــــــــردِ أَجرَعـــــــــا
عَلَـــــــــيَّ لِمَـــــــــن ضَـــــــــنَّت عَلَـــــــــيَّ جُفونُـــــــــهُ
غَـــــــــوارِبُ دَمـــــــــعٍ يَشـــــــــمَلُ الحَـــــــــيَّ أَجمَعـــــــــا

يخاطب الشاعر رفيقين متخيلين ويشتكيهما شدة ألمه ولوعة اشتياقه للأحبة، فهو متأوه منكسر لا يجد سوى دموعه أنسا له في محنته.

ونجد أبا فراس يعبر عن استيائه من الدمستق في لقاء جمعه به حين رأى نكران هذا الأخير له، فأثار هذا الموقف سخطه ورد عليه في قصيدة حملت هجاء مقذعا يقول[1]:

تَـــــــــأَمَّلَني الدُمُســـــــــتُقُ إِذ رَآنـــــــــي
فَأَبصَـــــــــرَ صـــــــــيغَةَ اللَيـــــــــثِ الهُمـــــــــامِ
أَتُنكِرُنـــــــــي كَأَنَّـــــــــكَ لَســـــــــتَ تَـــــــــدري
بِـــــــــأَنّي ذَلِـــــــــكَ البَطَـــــــــلُ المُحـــــــــامي
وَأَنّـــــــــي إِذ نَزَلـــــــــتُ عَلـــــــــى دُلـــــــــوكٍ
تَرَكتُـــــــــكَ غَيـــــــــرَ مُتَّصِـــــــــلِ النِظـــــــــامِ

لم يخش أبو فراس عدوه رغم تواجده في عقر داره، فنراه يسخر ويهزئ بالروم ويحط منهم ويصفهم بكلمات وعبارات لادغة، إنه مثال الرجل العربي الشجاع الذي لا يرهبه عدو ولا يكسر كرامته متجبر.

وورد في الروميات مناظرة أخرى وقعت بين أبي فراس والدمستق –كنا قد تطرقنا إليها من قبل– ومثل "هذه المناظرات الشعرية لون طريف جديد عرف طريقه إلى الشعر ونفحه بنفحات خاصة"[2].

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص275.

[2]– فوزي عيسى، اتجاهات جديدة في شعر القرنين الثالث والرابع الهجريين، ص103.

تعد قصيدة –أراك عصي الدمع– من أروع القصائد التي تحمل أنبل الصفات والخصال، وفيها عبر الشاعر الأمير أبو فراس عن صراعه الداخلي العنيف، لكنه وبالرغم من الجفاء والقساوة والمعاناة والفقد بقي شامخ الرأس عزيز النفس صابرا على المحن وفيها – في القصيدة– يخاطب سيف الدولة بنبرة الفخر رغم الانكسار يقول في بعض أبياتها[1]:

أَراكَ عَصِيَّ الدَمعِ شيمَتُكَ الصَبرُ
أَما لِلهَوى نَهيٌ عَلَيكَ وَلا أَمرُ
بَلى أَنا مُشتاقٌ وَعِندِيَ لَوعَةٌ
وَلَكِنَّ مِثلي لايُذاعُ لَهُ سِرُّ
إِذا اللَيلُ أَضواني بَسَطتُ يَدَ الهَوى
وَأَذلَلتُ دَمعاً مِن خَلائِقِهِ الكِبرُ

نجد الشاعر يخاطب ابن عمه ويحاوره بنبرة الفخر والاعتزاز، فرغم الوضع المزري الذي يعيشه إلا أن له نفسا أبية تأبى الذل والهوان. ويقول مذكرا قومه بفضله عليهم[2]:

سَيَذكُرُني قَومي إِذا جَدَّ جِدُّهُم
وَفي اللَيلَةِ الظَلماءِ يُفتَقَدُ البَدرُ

هذا البيت من أروع ما قالته العرب، وقد صار مثلا يضرب وقلما نجد عربيا لا يحفظه. ويختم أبو فراس قصيدته –أراك عصي الدمع– ببيت يعد هو الآخر من أجمل ما تكلمت به قرائح الشعراء العرب ألا وهو[3]:

أَعَزُّ بَني الدُنيا وَأَعلى ذَوي العُلا
وَأَكرَمُ مَن فَوقَ التُرابِ وَلا فَخرُ

[1]– أبو فراس الحمداني، الديوان، ص157.

[2]– نفسه، ص161.

[3]– نفسه، ص161.

رغم حياة أبي فراس القصيرة إلا أنها كانت مليئة بالبطولات والانتصارات، وبالرغم من نائبات الدهر التي لحقته إلا أنه بقي صامدا مكابدا فلم تعرف روحه معنى الاستسلام يوما.

الخاتمة

الخاتمة

كان بحثنا هذا رحلة في عالم الثنائيات الضدية، في شعر شاعر ترك بصمته في ديوان الشعر العربي، وقد توصلنا من خلاله إلى جملة من النتائج تتمثل فيما يلي:

الكون قائم على أسس متناقضة، ويبرز هذا في مظاهره المختلفة كالحياة والموت، النهار والليل، البياض والسّواد، وكذلك الأمر بالنسبة للتركيبة الآدمية فالثنائيات الضدية متأصلّة في الطبيعة البشريةّ، وهذا ما يجعلها تتقلب بين عواطف متضاربة كالفرح والحزن، اللين والقسوة، الأمل واليأس.

يعتبر التضاد من مقومات التعبير وله جمالية خاصة، فالثنائية الضدية ليست مجرد حلية للنص الأدبي بل هي الأساس الذي يبنى عليه، فهي تربط بين المتناقضين، وتبرز الفرق بينهما، وهي بهذا تيسر على المتلقي الفهم، وتكشف له حقائق الأشياء وكنهها، وتقّرب له المعنى، كما تثير نفسه وتحرّك نوازعه، وهي بهذا تجمع بين الإمتاع والإقناع.

نسج أبو فراس الحمداني شعره على منوال الشّعراء القدامى وتناول أغراضهم الشعرية، لكن غرض الفخر كان له الحظ الأوفر في شعره وهذا راجع إلى طبيعة شخصيته الحربية المتعطّشة لخوض غمار المعارك الحربية.

اعتمد أبو فراس في بناء قصائده على الثنائيات الضدية بخاصة روميّاته،حيث حفلت هذه الأخيرة بثنائيات مختلفة، كشفت لنا عن حالته النفسية المضطربة التي كانت نتيجة للضغط الذي فرضته عليه الحياة بمختلف جوانبها.

ولج أبو فراس في خضم العواطف والأحاسيس الإنسانية المتصارعة، وعبّر عنها في شعره بأسلوب فنّي متميز، جعل قصائده تتجاوز أعناق الأعصر، وإننا لنشعر برومنسية في شعره أشبه ما تكون برومنسية شعراء المهجر في عصرنا الحديث.

منح توظيف الثنائيات الضدية الشاعر أبا فراس إمكانية التعبير عن مقاصده المختلفة، وبين من خلال استعمالها نظرته للحياة بصفة عامّة والنّفس البشريّة بصفة خاصّة.

يوجد ترابط وتداخل بين الثنائيات الضدية التي تستوطن النّفس البشريّة، بل إنّها كل متكامل يصعب الفصل بين أجزائه؛ فثنائية الانتصار والانكسار مثلا تنجرّ عنها ثنائية أخرى تتمثّل في الأمل واليأس، وهذه الأخيرة تدور في فلك ثنائية الحياة والموت.

تميّزت شخصيّة أبي فراس بصفتين رئيستين هما: الضّعف والقوّة، فنجد الضعف مقترنا بالدموع والحزن، في حين نجد القوة متّصلة بالفخر والطّموح، وعلى العموم فإن أبا فراس يُعتبر مثالا للرّجُلِ العربي الشّجاع الذي يأبى الضّيم ولا يرتضي الحياة إلا بعزّة وكرامة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

فهرس المصادر والمراجع

- ✓ أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مادة (ثني)، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، دت.
- ✓ أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، قدم له وعلق عليه: محمد زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ط1، 1408هـ.
- ✓ أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، دط، دت.
- ✓ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، 1982م.
- ✓ القرطاجني حازم بن محمد، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دط، 1986م.
- ✓ أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، دت.
- ✓ حسين نجيب، الروح بين العلم والعقيدة الحياة بعد الموت، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 2005م.
- ✓ حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دط، 2005م.
- ✓ ابن خلكان أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان،دط، 1968م.
- ✓ سعدية أحمد مصطفى، البقاء والفناء في شعر أبي العتاهية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010.

✓ سمر الديوب، الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم، منشورات الهيئة العام السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2009م.

✓ سمر الديوب، الثنائيات الضدية: بحث في المصطلح ودلالاته، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية العتبة العباسية المقدسة، ط1، 2017م.

✓ سناء سلمان عبد الجبار، ثنائية الحياة والموت عند نارك الملائكة، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة تكريت، العراق، العدد5، 2007م.

✓ شوقي المعري، أبو فراس الحمداني، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، ط1، 2013م.

✓ شوقي ضيف، عصر الدول والإمارات، مصر، الشام، دار المعارف، دط، 1975م.

✓ صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق،دط، 1987م.

✓ عاصم محمد أمين، لغة التضاد في شعر أمل دنقل،دار صفاء، عمان، الأردن، ط1، 2005م.

✓ الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن، أسرار البلاغة، تعليق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، 1978م.

✓ الجاحظ عمرو بن بحر ، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ط2، 1424هـ.

✓ أبو فراس الحمداني، الديوان، رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه، دار صادر، بيروت، لبنان، دط، دت.

✓ فوزي عيسى، اتجاهات جديدة في شعر القرنين الثالث والرابع الهجريين، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، دط، دت.

✓ ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

✓ قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط3، 1978م.

✓ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، دط، 1975م.

✓ محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ضبط نصه وعلق حواشيه: خالد رشيد القاضي، دار الصبح و إديسوفت، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

✓ محمد قطب، من جماليات التصوير في القرآن الكريم، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 2006م.

✓ محمد كراكبي، خصائص الخطاب الشعري في ديوان أبي فراس الحمداني: دراسة صوتية وتركيبية، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، دط، 2009م.

✓ أبو منصور الثعالبي عبد الملك بن محمد، يتيمة الدّهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محمد محيي الدّين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط2، 1973م.

✓ أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله، الصناعتين، تحقيق. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،1981م.

✓ أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية، تحقيق: أبوعمرو عماد زكي البارودي، المكتبة التوفيقية، سيدنا الحسين، مصر، دط، د ت.

المحتويات

فهرس المحتويات

إهداء 3
شكر وتقدير 4
مقدمة: 6
الفصل الأول 8
المبحث الأول: الثنائيات الضدية: 9
أ/لغة: 9
ب/ اصطلاحا: 9
المبحث الثاني: دور الثنائيات الضدية في الإقناع والإمتاع: 15
المبحث الثالث: ترجمة الشاعر: 18
1/ مولده: 18
2/ أسره: 19
3/ مقتله: 21
4/ صفاته: 22
المبحث الرابع: الأغراض الشعرية في ديوانه: 26
1/ الفخر: 26
2/المدح: 29
3/الهجاء: 31
4/الغزل: 33
5/الرثاء: 36
الفصل الثاني 39

أولا؛ ثنائية القلم والسيف: 41
ثانيا؛ ثنائية الحرية والسجن: 45
ثالثا؛ ثنائية الانتصار والانكسار: 47
رابعا؛ ثنائية الوفاء والغدر: 56
خامسا؛ ثنائية الأمل واليأس: 62
سادسا، ثنائية المدح والهجاء: 68
سابعا؛ ثنائية الحياة والموت: 77
ثامنا؛ ثنائية الحقيقي والمتخيل: 82
الخاتمة 89
فهرس المصادر والمراجع 92
فهرس المحتويات 96
الملخص وترجمته 99

الملخص وترجمته

الملخص وترجمته

تعتبر الثنائيات الضدية انعكاسا لمظاهر الكون المتعددة وتعبيرا عن الحياة الإنسانية بمختلف جوانبها، وقد كان لتوظيف هذه الثنائيات في شعر "أبي فراس الحمداني" الأثر البالغ والدّور الفعّال في تشريح الطبيعة البشرية وما تحمله من عواطف متناقضة وأحاسيس متضاربة، وبيّن لنا الصّراع الذي يحيا في خضمه جلّ النّاس رغم اختلاف أنسجتهم وتباينها، فللتضاد جماليّة خاصّة ودور فعّال في بناء النّصوص الأدبيّة، فهو كلّ متكامل من حيث المبنى والمعنى، فبفضله تتحقّق المعادلة الصّعبة التي يسعى إلى تحقيقها أيّ أديب ألا وهي: الإقناع والإمتاع، فعن طريق توظيف التّضادّ تتلذّذ العاطفة ويقتنع العقل.

Abstract and its translation

Contradictory dichotomies are considered as a reflection of the universe aspect of the universe and an expression of the human life in all its diversed sides the usage of these dichotomies in the poetry of abi firas alhamadani in have had an enormous influence and an effective role in analyzing the human nature and what contradictory emotions and conflicting fee ligs it contains the use of contradictory dichotomies also shous the conflict in which most people live despite their ethnic differences for oppogition in such cofes has a special aesthetic and an effective role in structuring literary texte. The lotter is also fully complete on account of the form and the meaning for it is due to it that the difficult equation of coniction and entertaimment which every scholar is seeking to achieve comes true it is through the employment of opposition that emotion is pleased and the mind is convinced. .